

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة-

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية



الوصفية في البحوث اللسانية العربية الحديثة

جهود تمام حسان نموذجاً

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب و اللغة العربية

تخصص: علوم اللسان.

إشراف الدكتور:

- عزيز كعواش

إعداد الطالب:

- سامي محمد الأمين لعوامر

السنة الجامعية:

1435 / 1436 هـ

2014/2015 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿... ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تَوْتِي أَكُلَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾

سورة إبراهيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

أقبل الباحثون على دراسة اللغة منذ العصر اليوناني ، واتخذوا في ذلك اتجاهات وطرق متعددة، حيث تضافرت الجهود من العلماء على مر التاريخ لوضع قوانين تحكم هذه اللغة، ورصد ما يعترئها من تغير عبر مختلف العصور والأزمنة ، فتنوعت المناهج بين التاريخي والمقارن والمعيارى والوصفي وذلك حسب تطور الدرس اللغوي، وقد ساد كل منهج لروح من الزمن، حتى إذا جاء منهج جديد يهدف إلى نتائج مختلفة، سرعان ما يعقبه منهج آخر يهدف إلى نتائج أخرى.

لقد كشفت الدراسات اللغوية في العصر الحديث أن المناهج التي كانت سائدة حتى نهاية القرن التاسع عشر لم تكن صالحة لدراسة اللغة دراسة علمية ، إذ ينبغي لأي دراسة للغة أن تصف هذه الظاهرة وصفا كما هي عليه في الواقع اللغوي ، دون التدخل بالأحكام المسبقة والتأويلات ، وبذلك استقرت أصول علم اللغة الحديث في القرن العشرين على المنهج الوصفي الذي أصبح أساسا لسائر الأبحاث والدراسات ، و قد دام وجوده إلى قبيل ظهور الاتجاه التوليدي.

خصصت الدراسات اللغوية العربية جانبا كبيرا من بحوثها و كتاباتها لقضية المناهج لما لها من قيمة علمية في البحوث اللسانية، وقد سعى كثير من المجتهدين في العربية إلى ترجمة الأفكار اللسانية الغربية محاولين هيكلة نظام جديد للغة العربية يوافق نظيره الغربي.

لقد تضافرت جملة من الأسباب ساهمت كلها بشكل كبير في اختيار البحث في موضوع المناهج ومدى استفادة العربية من نتائج أبحاث القرن العشرين، حيث مثل إدراك أهمية هذه الدراسات وقيمتها في اللغة، رغبة لدى الباحث في محاولة الكشف عن كنه ما

أسفرت عليه تغيرات القرن العشرين في مجال اللغة ، والسعي وراء إدراك الأفكار والمبادئ التي ساهم بها علماء اللغة في هذا الصرح العظيم .

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يناسب طبيعة هذا الموضوع ، إذ يسمح لي بوصف وتحليل طريقة تعاطي البحوث العربية مع اللسانيات الحديثة ، وكان لزاما عليّ في معالجة هذه القضية أن أتتبع في بعض الأحيان مسارات اللسانيات العربية والغربية على السواء، فكان المنهج التاريخي ي تخلل بعض مباحث هذا العمل .

أما إشكالية هذا البحث فسيقت على النحو التالي :

ما طبيعة التطبيقات الوصفية في البحوث اللسانية العربية الحديثة من خلال جهود تمام حسان ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال جعل البحث يتخذ الخطة التالية:

مقدمة

مدخل

الفصل الأول: اللسانيات العربية الحديثة ومبحث الوصفية والمعيارية

المبحث الأول: نشأة اللسانيات العربية الحديثة وأعلامها

أولاً : البحث اللساني عند العرب وأثر اللسانيات الغربية في الدراسات العربية

ثانياً: أعلام اللسانيات العربية

المبحث الثاني : الوصفية والمعيارية في البحوث اللسانية العربية

أولاً : الوصفية في البحوث اللسانية العربية

ثانيا: المعيارية في البحوث اللسانيات العربية

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية : قضايا الوصفية عند تمام حسان

المبحث الأول : المعنى والشكل

المبحث الثاني: النظام الصرفي وتقسيم الكلم

المبحث الثالث: تضافر القرائن والتعليق

قدّمت لهذا البحث في بادئ الأمر بمدخل، عرضت فيه بدايات ظهور المنهج الوصفي ومفاهيمه ، بالإضافة إلى الأسس التي ارتكز عليها وأهم المدارس التي قامت عليه، ثم ذكرت بعض المآخذ التي سجلت عليه.

ولكن الفصل الأول بعنوان : اللسانيات العربية الحديثة ومبحث الوصفية والمعيارية ، تناولت فيه مبحثين، عرضت في المبحث الأول نشأة اللسانيات العربية الحديثة وأهم أعلامها، فتحدثت عن توجه اللغويين العرب إلى هذا العلم ونقدم للنحو العربي متأثرين في ذلك باللسانيات الغربية ، ووقفت فيه على إسهامات بعض اللغويين العرب المحدثين في تقديم هذا العلم للقارئ العربي وتطويره في البلاد العربية ، في حين تناولت في المبحث الثاني ثنائية المعيارية والوصفية في الدراسات العربية.

أما الفصل الثاني، فكان عبارة عن تقصي القضايا الوصفية عند علم من أعلام اللغة العربية حديثا، وهو اللغوي الكبير تمام حسان، الذي يعد رائد هذا العلم في البلاد العربية، وذلك نظرا لما قدّمه في هذا المجال، وقد حاولت دراسته من خلال ثلاث قضايا حاولت التطرق إليها بالوصف والتحليل والكشف والتفصيل، وهي المعنى والشكل، ومحاولته لإعادة وصف النظام الصرفي للغة العربية من خلال تقسيمه الجديد للكلم ، وأخيرا نظريته

في تصافر القرائن والتعليق، وينتهي البحث بخاتمة خلصت من خلالها لمجموعة من النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .

لقد تناول كثير من الدارسين قضية الوصفية في الدراسات العربية، حيث استطعت الإطلاع على بعض هذه المراجع التي جاء بعضها لسرد مسار الدراسات العربية الحديثة، وجاء بعضها الآخر في محاولة لتقويم التراث اللساني العربي، فكان من بين هذه الدراسات، موضوع الباحثة فاطمة الهاشمي بكوش الموسوم بـ نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، و مؤلف الباحثة حليلة أحمد عميرة الذي يحمل عنوان الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة ، إضافة إلى بعض البحوث التي تناو لت قضايا اللسانيات في الوطن العربي.

ولا أنكر في هذا المقام، ما تخلل البحث من صعوبات تمثلت في عديد من الجوانب منها علمية ، كصعوبة الربط بين أمشاج من أفكار العلماء ممن تناولوا هذه القضية ، إضافة إلى تعسر فهمنا لكثير من القضايا النحوية التي تناولها اللغوي الكبير تمام حسان، ومنها الذاتية ، و تمثلت في السفر إلى جامعة الجزائر للتتقيب عن المعلومات، بالإضافة إلى ضيق الوقت بالرغم من اتساعه نظرا لطموح الباحث في إخراج هذا العمل في صورة جيدة، وهي صعوبات لا يخلو منها أي بحث، ولا تخرج في مجملها عن تلك التي يجدها أي باحث.

ختاما ، أحمد الله تعالى الذي وفقني لإتمام إنجاز هذا العمل، وأتقدم بخالص الشكر و جزيل الشاء إلى الأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور عزيز كعواش اعترافا بفضله في رعاية هذا البحث تصويبا وتقويما .

وأشكر كذلك أساتذة كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر بسكرة وكل العاملين في قطاع هذه الجامعة والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

ملائك

إنَّ الخوض في مسالك اللسانيات يستدعي النظر في مختلف التطورات والتغيرات التي مست عديد الجوانب في هذا العلم، كما يوجب استقصاء المناهج التي تعد مدار البحث اللساني، وقد مهدت محاضرات دي سوسير " De Saussure " لللسانيات جديدة، وكانت بحوثه عبارة عن نقطة تحول في حقل اللسانيات.

لقد عدَّ علم اللغة الحديث عن البحث في نشأة اللغة إلى دراستها في واقعها الحي "المنطوق"، فصار بذلك يتناول اللغة تناولا علميا، يقوم على المنهجية والدقة (1) بعد أن كانت الدراسات اللغوية المقارنة مسيطرة على الفكر الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان البحث في درس اللغوي يعاني الخلط المنهجي، حتى جاء دي سوسير الذي يعد في نظر معظم اللغويين الرائد الأول لعلم اللغة الحديث.(2)

وقد شهدت الدراسة اللغوية في القرن العشرين تطورا كبيرا في مجال البحث اللساني، حيث تم ربط الظواهر اللغوية بما يحدث في العالم الطبيعي (3) وقد أدى هذا التطور إلى تغير في نمط الدراسة « هذه الدراسة الجديدة للغة، هي التي يصدق عليها لفظ العلم »(4) استند عليها اللغويون حين حاولوا إخضاع اللغة إلى العلمية التي تعتمد

(1) ينظر محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. ط: بلا. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 77 .

(2) المرجع نفسه. ص 80..

(3) ينظر حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ط: بلا. عمان: دار وائل للنشر و التوزيع، 2005. ص 34.

(4) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للفارئ العربي. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية، ت: بلا. ص 22 .

على أسس موضوعية تقوم على الملاحظة المباشرة والوصف، فبدأت اللسانيات حقبة جديدة مثلتها أعمال دي سوسير الذي أسس لمرحلة لسانية مغايرة للأفكار السائدة آنذاك، من خلال محاضراته في اللسانيات العامة التي نشرت عام 1916م ، هذه المحاضرات أضفت « صفة العلمية على منهج دراسة اللغة، وأصبحت أساسا لعلم اللغة الحديث وأبعدت الأمور الميتافيزيقية التي تبتعد بالظواهر اللغوية عن الوصف الدقيق لها » (1) ما فتح مجالا واسعا أمام منهج علمي جديد، منهج يبحث عن بنية النظام، أي العلاقة بين مفردات النظام « فقد بحث الدارسون إمكان إيجاد أكثر الإجراءات فعالية لوصف البنية بمصطلحات علمية» (2) تكون على قدر كبير من الدقة، بعيدة عن التحليلات المنطقية والتعليقات الفلسفية .

ولم ينكر دي سوسير جهود علماء النحو التقليدي من الهنود واليونان والرومان والعرب، وأقر بدراسات الباحثين في القرون الوسطى وعصر النهضة (3) فكانت أعمالهم بمثابة المنطلق الذي أسس عليه دراسته الجديدة.

إنّ الذي شد اهتمام دي سوسير لدراسة اللغة دراسة علمية هي أعمال دوركايم "Emile Durkheim" التي اعتبر فيها أن الوقائع الاجتماعية يمكن اعتبارها أشياء بما أنها ذات طبيعة عامة، أي أنها ليست فردية، (4) فحاول دي سوسير إسقاط هذه الفكرة على اللغة باعتبار اللغة أيضا ذات طبيعة عامة « والشيء عنده ينتظم كل موضوعات المعرفة التي لا يمكن إدراكها بالنشاط العقلي الداخلي، ولكن بما تقتضيه

(1) حليلة أحمد عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 34.

(2) ميلكه افيتش، اتجاهات البحث اللساني. ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد. ط: بلا . المجلس الأعلى للثقافة، 2000 . ص 108 .

(3) ينظر خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية. ط:1. الجزائر: بيت الحكمة، 2009. ص 13 .

(4) ينظر عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1979. ص 26.

من الخبرة و الملاحظة والتجربة»⁽¹⁾ ولا تتم الملاحظة إلا بالبحث عن البنية أو النظام في مجال الاستعمال، ما يجعل الدراسة بعيدة عن الافتراض والتعليل و التأويل.

بعد أن خلّصَ دي سوسير إلى أنّ اللغة حقيقة اجتماعية، وأنها نظام بنيوي، عمد إلى التفريق بين المنهج الوصفي والتاريخي تفريقاً محدداً وواضحاً، وميز بين البعدين الأساسين للدراسة اللغوية:

البعد الأول: الدراسة التزامنية " Synchronic "

البعد الثاني: الدراسة التاريخية " Diachronic " ⁽²⁾

وتدرس اللسانيات الآنية " الدراسة التزامنية " أي لغة من اللغات على حدى دراسة وصفية في حالة معينة أي في نقطة زمنية معينة، ولا تقتصر الدراسة على اللغات الحديثة والمعاصرة، بل يمكنها أيضاً أن تدرس اللغات الميتة بشرط أن تتوفر كل المعطيات اللغوية التي تنبني عليها الدراسة العلمية الوصفية، فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن يعنى بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معا وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين. ⁽³⁾

وتدرس اللسانيات التاريخية التغيرات والتطورات المختلفة، وهي منهج حركي تطوري يتناول بالدراسة العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يدركها العقل، والتي يحل بعضها محل بعض دون تشكيل أي نظام يذكر ⁽⁴⁾، كما أن هذا المنهج يساعد في معرفة اللغات القديمة وأسباب اندثارها وكيفية نشوء اللغات الجديدة ومراحل تطورها، فالمدرسة التاريخية « تعالج فيها تاريخيا عوامل التغير التي تخضع لها اللغات في مسيرة

(1) عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث. ص 26.

(2) ينظر محمد داود ، العربية وعلم اللغة الحديث . ص 81.

(3) ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور. ط: بلا. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2002. ص 125.

(4) المرجع نفسه. ص 126.

الزمن»⁽¹⁾

ولئن كانت هذه الدراسة هيمنت على أبحاث القرن التاسع عشر باعتبارها تدرس الظواهر اللغوية عبر التاريخ، فإن دي سوسير أدرك قصور المنهج الزماني "التاريخي" الذي كان يعتمده النحاة الشبان، وألحَّ على ضرورة دراسة اللغة في مرحلة خاصة؛ أي في حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة، واتخذ مصطلح آنية للدلالة على هذا المنهج « إن دراسة اللغة في حال استقرارها هو ما يعرف الآن بالمنهج الوصفي»⁽²⁾ ويبدو أن الدراسة العلمية للغة التي قال بها دي سوسير تركز على الوصف، الذي يعد من أهم السمات التي تميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة، ويعتمد المنهج الوصفي بشكل كبير على اللغات المنطوقة واللهجات، ويعتبرها الواقع الذي يبحث فيه اللغوي ويصف و يضع ملاحظاته كما تجلت وبدت في واقعها.

فالمنهج الوصفي هو « ذلك المنحنى من الدراسات اللغوية الذي يقوم بدراسة لغة معينة من حيث ملامحها الصوتية ونحوها ومفرداتها في حقبة زمنية محددة»⁽³⁾ وقد يكون هذا أقرب للدراسة العلمية التي تتميز بها اللسانيات، حيث « تتمثل أول مهمة للسانيات في وصف كل وقائع اللغة التي يمكن ملاحظتها»⁽⁴⁾ ويبدو أن ما جاء به دي سوسير هو صلب اللسانيات، لأن المنهج الوصفي في دراسته يستقصي دائماً الأشياء المجردة ويبحث فيما يمكن ملاحظته، وقد تكون هذه التجريدات جوهر البحث اللساني.

يُعد دي سوسير الأساس الوصفي ضروري لدراسة اللغة كونها كائن حي، والدراسة الوصفية تهتم بدراسة اللغة في مرحلة معينة وتعتمد على أمثلة لغوية مستنبطة من استقرار

(1) محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. ص 81.

(2) عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث. ص 29.

(3) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين. ط:1. عمان: دار الاسراء للنشر والتوزيع، 2002. ص 195.

(4) جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس. ط: 1. البلد: بلا: دار الآفاق، 2001. ص7.

شامل للغة التي تمثل عصرا معيناً، كما تستبعد أي تأويل أو تفسير يمكن أن يخضع الدراسة إلى أحكام ذاتية.⁽¹⁾

إنَّ الكشف عن أسرار النظام اللغوي لأي لغة من اللغات يتطلب من المنهج الوصفي القيام « بوصف اللغة "لغة محددة" في زمن محدد ومكان محدد ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها »⁽²⁾ فهو لا يبحث عن أسباب أو تأويلات، وإنما يكتفي بوصف الحقائق كما هي موجودة في الواقع، ويلزم المنهج الوصفي الباحث بتحديد المستوى اللغوي المقصود بالدراسة سواء أكان صوتياً أم صرفياً أم تركيبياً أم دلالياً، وهذا لتجنب الوقوع في الخلط الذي يؤدي إلى نتائج مضللة⁽³⁾ ما يجعل البحث يخرج عن صميم الدراسة العلمية التي يسعى إليها المنهج الوصفي.

ويبدو أن المنهج الوصفي استطاع الكشف عن الكثير من العلاقات التي بين العناصر اللغوية، ويظهر هذا جلياً من خلال نظره « في علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى المكونة للنظام اللغوي، وذلك لأنه لا قيمة للمفردة إلا في السياق »⁽⁴⁾ وهذا ما يجعل الدراسة الوصفية متكاملة الجوانب؛ يمكن تطبيقها في تحليل البنى اللغوية للغات أو اللهجات، فالوصفية لا تميز بين لهجة أو لغة، لأنَّ كليهما يتكون من أصوات لغوية، تنتظم في كلمات، تتألف منها جمل لتعبر عن معانٍ مختلفة.⁽⁵⁾

ينطلق المنهج الوصفي من الواقع اللغوي المنطوق ، حيث يهتم بتلقي الكلمة في

(1) ينظر صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن. ط: 1. الرياض: دار العلوم للطباعة و النشر، 1984. ص 64.

(2) محمد محمد داود، العربية و علم اللغة الحديث، ص 95.

(3) المرجع نفسه. ص 95.

(4) حليلة أحمد عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة، ص 36.

(5) ينظر محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية. ط: بلا. القاهرة: دار الثقافة للطباعة و النشر، 2003.

وضعها الحالي، ومن ثم يقوم بتحديد مقاطعها ووزنها الصرفي واشتقاقاتها ومعناها أو معانيها، ويدع جانب ما يتصل بمنبع الكلمات، أو الكلمات التي انتقلت من لغة إلى لغة أخرى وصارت جزء منها. (1) وتكمن « مهمة الباحث الوصفي أن يرى ما تؤديه هذه الألفاظ من معان في تلك اللغات، لا إلى ما كانت تؤديه من معان في لغتها الأصلية، وهو بالتالي لا يهتم باستنباط العلاقات الحضارية والتاريخية بين تلك الشعوب من خلال اللغات» (2) وإنما يكون مدار بحثه في الكشف عن البنى التحويلية والصوتية والدلالية للغات، ومعرفة وظائفها العامة، واكتشاف القواعد المستعملة من قبل أفراد لغوية معينة، وتسجيلها بطريقة مختصرة ودقيقة، دون أن يفرض عليها قواعد أخرى، كما يسعى لإبعاد الأحكام المسبقة والمنطقية (3) لذلك فالوصفية هي « علم يصف اللغات أو اللهجات كما هي مستعملة في الواقع، ولا كما يجب أن تكون» (4) والواقع أن اللسانيات تشتغل على هذا الأساس، حيث تسعى لتشخيص الظاهرة اللغوية تشخيصاً علمياً، وتتطلق من الظاهرة في حد ذاتها، الشيء الذي جعلها علماً موضوعياً يدرس اللغة دون أحكام مسبقة أو فرضيات قد تدفع بالبحث إلى نتائج ذاتية.

ولتفادي هذا، يتخذ المنهج الوصفي ثلاثة طرق في تحليل الظاهرة اللغوية، يبدأها باستقراء المادة اللغوية مشافهة، ويحرص في هذا على تسجيلها كما هي مستعملة في الواقع، ويعتمد عالم اللغة الوصفي في هذه المرحلة على أحد أبناء هذه اللغة، وهو ما يعرف باسم الراوي اللغوي، ثم يقسم المادة اللغوية قيد الدراسة إلى أقسام ويسمي كل قسم منها، وتعد هذه المرحلة أساسية في البحث؛ إذ يستطيع الباحث، بعد تصنيف المادة اللغوية وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام، ليصل بعد ذلك إلى وضع القواعد

(1) ينظر إسماعيل أحمد عمارة، المستشرقون و المناهج اللغوية. ط: 3. عمان: دار وائل للطباعة و النشر، 2002. ص 101.

(2) المرجع نفسه. ص 102.

(3) توطئة أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور.

(4) توطئة المرجع نفسه.

الكلية والجزئية التي نتجت عن الاستقراء؛ فالاستقراء وتسجيل الظواهر من أهم الأسس التي يعتمد عليها المنهج الوصفي.⁽¹⁾

لاقى هذا المنهج كثيرا من التأييد في أوساط علماء اللغة، حيث قامت عدة مدارس تدعمه وتتبناه، وظهرت في خضمها عدة اتجاهات ساهمت في إثراء البحث اللساني، وقد ظهرت بصمات دي سوسير على هذه الاتجاهات، و بالرغم من التفاوت الحاصل بين كل منها، إلا أنها قامت كلها على المرتكزات النظرية والمنهجية التي أسس لها صاحب مقولة الوصف، فظهرت عدة مدارس لسانية على غرار مدرسة براغ التي أسسها مجموعة من اللغويين أمثال جاكبسون " Roman Jakobson " وروس براغ " Ross Brag " وغيرهما، حيث اهتمت بدراسة الأصوات الوظيفية وطبقت مبادئ النظرية البنوية⁽²⁾ وغيرت من بعض المفاهيم، وتعاملت مع الفونيم بوصفه « مجموعة من الخصائص الفونولوجية المميزة التي تجعله يتعارض مع كل الفونيمات الأخرى»⁽³⁾ واهتمت كذلك بدراسة اللهجة والنبر، وبالخصائص المكونة للفونيمات كالتنغيم، وفرقت بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية، ما جعل هذه المدرسة ذات طابع تصنيفي تفسيري. ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية بمنأى عن هذه الدراسات؛ إذ تبنت هذا المنهج حيث تأثر أكثر المشتغلين بعلم اللغة الحديث في كل أنحاء العالم بالمنهج الوصفي⁽⁴⁾ فظهرت المدرسة الوصفية الأمريكية ممثلة في اتجاهين:

شكليّة Formalisme : وتزعمها سابير "Edward Sapir" صاحب كتاب اللغة

⁽¹⁾ ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين وعلم اللغة الحديث. ط: 1. بغداد: دار شؤون الثقافة العامة، 1986. ص 11.

⁽²⁾ ينظر حليلة عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 37.

⁽³⁾ جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب عزوي. ط: بلا. دمشق: مطبعة الوحدة، ت: بلا. ص 11.

⁽⁴⁾ محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربي. ص 38.

"Langage" الذي فرق بين الشكل والوظيفة حيث يقول: « إن نظام الأشكال شيء، واستعمال هذا النظام لتحديد الوظائف شيء آخر »⁽¹⁾ ويرى أن دراسة الشكل باعتباره نظاما هو جوهر الدراسة العلمية، داعيا في الوقت ذاته إلى صرف النظر عن الوظائف التي ترتبط فيه⁽²⁾، وفي الحقيقة تستمد هذه الفكرة مشروعيتها من خلال القواعد العامة التي سطرها المنهج الوصفي، حيث يسعى إلى دراسة الكلام المنطوق، دون الاهتمام للفكرة المراد إيصالها.

توزيعية Distributionalisme: وبتزعمها بلومفيلد Blomfield، ويرى أن اللغة « نتاج آلي، واستجابة كلامية بوصفه حافظا سلوكيا ظاهرا »⁽³⁾ واعتبر المعنى غير قابل للملاحظة، وما لا يقبل الملاحظة لا يخضع في اللغة للمنهج التجريبي، يقول: « إنَّ علينا أن نترك المعنى جانبا حين تكون مهمتنا تأسيس منهج لساني كفاء »⁽⁴⁾ ويبدو أن المدرسة الوصفية الأمريكية طرحت المنهج الوصفي في جانب الشكل وحده؛ إذ اعتبرته الأجدر بالدراسة لأنه قابل للملاحظة والقياس، وهذا هو مجال اللسانيات، التي لا تبحث عن ذوات الأشياء، وإنما في الأشياء ذاتها.

وفي انجلترا، تمثل هذا المنهج في النظرية السياقية، وأصبح يعرف بالمنهج الوصفي السياقي Contextual Approach، وتزعم هذا الاتجاه فيرث Firth حيث كان يدرس المعنى بوصفه « كلُّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية »⁽⁵⁾ وانتبه فيرث إلى مجموعة من الضوابط التي يجب على الباحث التقيد بها كتحديد معاني الأشكال النحوية والمعجمية بالنسبة لنظام اللغة موضوع البحث، مع تجنب إدخال مقدمات

(1) جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين. ص 88.

(2) المرجع نفسه. ص 88.

(3) حليلة عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 40.

(4) ميلكه افيتش. اتجاهات البحث اللساني. ص 279.

(5) حليلة عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 43.

وتصنيفات سابقة، والالتزام بوصف اللغة من داخلها، مع تحديد عناصرها وتوزيعها وتحديد وظائفها ومعناها على المستوى النحوي بمصطلحات خاصة بالنظام النحوي الذي تتبعه اللغة، ومراعاة علاقة المصطلحات بظروف الاستعمال، ويكون الباحث ملزماً بالانتباه للبنية الشكلية، ومدى استعمال الأقسام اللغوية في اللغة وتقسيم هذه الأقسام وفق أسس شكلية لا تصورية فلسفية، وعلى الباحث أن يدخل في اعتباره عناصر سياق الحال.⁽¹⁾ وكان هدف فيرث من اقتراح هذه العناصر هو جعل المعنى في هذا المنهج « سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي.»⁽²⁾

والواقع أنّ هذه النظرية جانبت إلى حد كبير خصائص المنهج الوصفي، ولم يخرج فيرث في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة، وقد عبر ليش Leech عن هذا بقوله: « إنّ البحث عن تفسير للظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج عن حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب»⁽³⁾ وربما كان هذا الطرح مجانبا للصواب، لأنّ البحث في اللغة يمكننا من تقصي ودراسة اللغة وما يحكمها من علاقات.

ويبدو أنّ هذا الاختلاف والتباين بين هذه المدارس والاتجاهات لم يمنع الدرس اللغوي الوصفي من الوقوف على طرائق بحث منظمة وممنهجة، فارتباطها بأفكار دي سوسير في نظره إلى اللغة وطريقة فهمه لها، جعلها تتسم بالدقة والتنظيم، بالرغم من اختلاف الطريقة في البحث.

وكغيره من المناهج، لم يسلم المنهج الوصفي من النقد، حيث سُجلت بعض المآخذ على طريقته في البحث، وخاصة بعد ظهور المنهج التحويلي مع تشومسكي الذي تجاوز الوصف إلى التفسير، فكانت هذه إحدى المآخذ التي وجهت لهذا المنهج من الدراسة.

(1) ينظر محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص 238 - 240.

(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة. ط: 5. القاهرة: عالم الكتب، 1998. ص 78.

(3) المرجع نفسه. ص 73.

وقد أدى استبعاد الوصفيين للمعنى على الرغم من إقرارهم بأهميته إلى وقوعهم في زلات، حيث « لم يُجر الوصفيون دراسات لغوية تطبيقية متكاملة على اللغة المكتوبة والمنطوقة»⁽¹⁾، ووقع الوصفيون أيضا في مأزق حين نظروا إلى علاقة الدال والمدلول على أنها تمثل توازيا صوريا (شكليا)، وكان هذا نتيجة دراستهم لوجه واحد فقط للظاهرة اللغوية، كما أن هذا المنهج لم يستطع تحليل الجمل التي تشتمل على الغموض.⁽²⁾

بالإضافة إلى بعض السلبيات الأخرى التي قد تقع فيها أي دراسة، بما أن علم الإنسان لا يزال في تطور من زمن إلى زمن، وعموما، فإن هذا المنهج قد وفق في كثير من القضايا التي سنعرض لها لاحقا في فصول البحث.

(1) حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 201.

(2) المرجع نفسه. ص 202.

الفصل الأول:

اللسانيات العربية الحديثة ومبحث الوصفية والمعيارية

المبحث الأول: نشأة اللسانيات العربية الحديثة و أعلامها

أولاً: البحث اللساني عند العرب وأثر اللسانيات الغربية في الدراسات

العربية.

ثانياً: أعلام اللسانيات العربية.

المبحث الثاني: الوصفية والمعيارية في البحوث اللسانية العربية

أولاً: الوصفية في البحوث اللسانية العربية.

ثانياً: المعيارية في البحوث اللسانية العربية.

المبحث الأول: نشأة اللسانيات العربية الحديثة و أعلامها

أولاً: البحث اللساني عند العرب وأثر اللسانيات الغربية في الدراسات العربية:

إنَّ الحديث عما يُعرفُ باللسانيات العربية، أو الدرس اللساني العربي الحديث ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدراسات اللسانية التي ألفها لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، وفيها تبنا مناهج النظر اللساني الغربي الحديث⁽¹⁾، وقد يكون هذا نتيجة تأثر عدد من الباحثين العرب بالثقافة الغربية « إذ بدأت بواكير المنهج الوصفي في الظهور إلى ساحة الثقافة العربية في فترة اتصال العرب بالغرب وذلك من طريق البعثات، وقد حددت هذه الفترة بأواخر الأربعينيات بعد أن بدأ المبعوثون إلى جامعات الغرب من مصر والعالم العربي يعودون إلى بلادهم»⁽²⁾، فانتقل الفكر اللغوي الغربي إلى الحضارة العربية وخاصة مصر، أين تأثر عدد من الباحثين العرب ببعض النظريات الغربية وبرزت هذه الأفكار في كتاباتهم، فظهرت مجموعة من المؤلفات في نهاية القرن التاسع عشر تدعو إلى مواكبة التطور الحاصل في الغرب، فكان لزاماً على اللغويين العرب القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على جميع مستويات اللغة العربية، وكان عصر النهضة العربية منعطفاً حاسماً في تكوين الفكر العربي الحديث⁽³⁾، ولم يزل الأمر كذلك حتى جاء القرن العشرون، أين طبع المنهج الوصفي جل الدراسات اللغوية آنذاك، وكان للوسط اللغوي العربي نصيب من هذا الوضع اللغوي، حيث سعى من تخصصوا في اللسانيات أو في أحد فروعها ومن تتلمذوا على يد فيرث firth في مدرسة لندن للتدريس والبحث اللغوي، إلى بلورة الاتجاه الوصفي في

(1) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث - دراسة في نشاط اللسان العربي - ط: 1. مصر: ايتراك للنشر و التوزيع، 2004. ص 12.

(2) ينظر عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين. ص 195.

(3) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 13-14.

الثقافة العربية.(1)

حاول اللغويون العرب تأليف كتب في هذا الاتجاه من أجل نشر ما تعلموه في البلاد الغربية « وتقديم جملة من المفاهيم التي قدمتها اللسانيات البنوية » (2)، وكانت الرغبة في تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية كبيرة من طرف الباحثين العرب ممن تأثروا بهذه المناهج، وكان سعيهم حثيثاً في سبيل إقرار الأفكار الغربية الجديدة باعتبارها أكثر موضوعية ودقة.

وجدت هذه الثلة من الباحثين على غرار إبراهيم أنيس، وإبراهيم مصطفى وتمام حسان ومهدي المخزومي بعد ذلك، صعوبة كبيرة في توضيح أفكارهم نظراً لعدم تقبل بعض الدارسين لهذه المناهج، حيث كانت العربية عندهم شيئاً مقدساً، وما قدمه اللغويون القدامى أمثال سيبويه، والجرجاني وغيرهم لا يحتاج لإعادة قراءة أو تصويب، فلم يستطيعوا تقبل نحو جديد خارج عن التراث اللغوي الضخم (3)، فاختلف لدى أغلبهم الأمر، بين دراسات لغوية جديدة تواكب تطورا لا مناص منه في العلم، وتراث لغوي قائم بذاته، أصل لعدة معارف لا تزال إلى يومنا هذا مرجعا لمختلف العلوم، يقول تمام حسان: « وتشعبت المسالك أمام الشعب بعد تئاب وتمطى ورفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياءه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف» (4) وأمام هذه التقاطعات التي أرقت الباحث اللساني العربي، الذي وجد نفسه أمام حتمية الاختيار بأنه « لو سلك الأول

(1) ينظر حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ط: 1. بيروت: دار الكتاب الجديد، 2009. ص42.

(2) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 23.

(3) المرجع نفسه. ص 15.

(4) المقدمة، مناهج البحث في اللغة. ط: بلا. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1995.

فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز، ونصيب من الثقافة المعاصرة تمنحه العزة»⁽¹⁾.

لقد نتج عن هذا الصراع المعرفي اتجاه جديد « يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبنى أنموذجا وصفيا، يمزج المقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي، وكان هذا الموقف هو الموقف الأساس في اللسانيات العربية»⁽²⁾، في وقت تعددت فيه الآراء والمواقف بين اللغويين العرب في تصورهم للعمل اللساني، بين مؤيد لهيمنة الفكر اللساني الغربي، ومعارض له و « على الرغم من النقد الذي وجهه اللسانيون العرب إلى نظرية النحو العربي، إذ لم يستطيعوا أن ينتجوا درسا لسانيا منبثا عن أصله التراثي، يعلن القطيعة التامة مع التراث النحوي القديم»⁽³⁾.

وفي فوضى هذه التقاطعات، كانت محاولات بعض اللغويين لا تخرج عن عمل القدامى، إما شرحا واختصارا لما قدموه أو تبسيطا لمادتهم، فيما انبهر بعض آخر بالنظريات اللسانية المعاصرة، حيث اعتبرها مخرجا لراهن النحو العربي « وقد جاء تبني هذا المنهج في الدراسات اللغوية نتيجة شعور النحاة العرب المحدثين بحاجة العربية إلى وصف يخلصها من الأفكار الفلسفية والمنطقية، ومبدأ العلة ومبدأ العامل، والتقدير، وذلك من خلال ما تبناوا من أنظار غربية حديثة»⁽⁴⁾، لذلك كانت رغبة النحاة الجدد كبيرة في الانفتاح على اتجاهات البحث اللساني والتعرّف على أهم منطلقاته وأهدافه؛ إذ « إنَّ بلوغ هذا المسعى يقتضي رسم صورة واضحة المعالم لمسارات اللسانيات العربية الحديثة، هذا

(1) المقدمة، مناهج البحث في اللغة.

(2) حيدر سعيد، اللغة العربية واللسانيات الحديثة. مجلة الأديب المعاصر. بغداد. ص 117. نقلا عن فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 15.

(3) المرجع نفسه. ص 15.

(4) عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية. ط: 1. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2003. ص 64.

المسعى يقتضي رسم صورة واضحة المعالم لمسارات اللسانيات العربية الحديثة، ورصد أهم خصوصياتها». (1)

إنَّ وعي النحاة لراهن العربية وضعهم أمام أنموذجين حضاريين، كان لهما الأثر البارز في تشكيل الفكر العربي الحديث (2): الأول سلفي يحاول إعادة إنتاج الموروث الحضاري بصيغته القديمة أو يعدلها تعديلا جزئيا، والثاني حدائي تبنى الفكر الحضاري الغربي بكل تفصيلاته، ويعلن القطيعة مع الأول.

لم يستطع اللغويون العرب في هذه المرحلة المبكرة من الدراسات تبين الفرق بين مجال الفيلولوجيا Philology بالمفهوم الغربي، وبين المفاهيم التي ورثوها عن اللغويين العرب القدامى، وذلك نتيجة خلطهم بين المناهج ومبادئها، فلم يستطيعوا استيعاب الدرس اللغوي الحديث، ومن هؤلاء عبد الواحد وافي، الذي ترجم مصطلح الفيلولوجيا بـ «فقه اللغة»، ويمكن أن يكون هذا الخلط نتيجة تأثر الفكر اللغوي العربي آنذاك ببحوث المستشرقين الألمان في نمط التفكير الفيلولوجي، حيث شكلت هذه البحوث إطارا مرجعيا لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية، قبل أن يأتي فريق آخر من العلماء ممن تيسر لهم الاطلاع على المناهج الحديثة ويحدد مجال فقه اللغة ومجال علم اللغة ومصطلحات كل مجال. (3)

والواقع، أنَّ الخلط الذي نشأ بين علم اللغة وبين فقه اللغة مرَّده الاتجاه الذي دعى إليه بعض المستشرقين الذين قاموا بالتدريس بجامعة القاهرة حين أرادوا بفقه اللغة «دراسة العلاقات التاريخية بين العربية وبين سائر اللغات السامية، ودراسة المفردات على أساس تاريخي» (4)، لذلك عانت اللسانيات العربية في بداياتها الخلط المنهجي

(1) مقدمة حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة.

(2) ينظر فاطمة بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 14.

(3) المرجع نفسه. ص 13.

(4) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص 26.

ويرى بعض الدارسين أنّ اللسانيين العرب استشعروا « صعوبة تقديم المناهج اللسانية الحديثة للقارئ العربي، ولم تكن الصعوبة في عملية عرض هذه المناهج بقدر ما ارتبطت بإقناع الآخر بجدوى هذه العملية»⁽¹⁾، وقد يرجع هذا إلى تمسك العرب بالتراث النحوي القديم وتقديسه، إذا استثنينا بعض البحوث التي حاولت إعادة بعث وإحياء النحو، على غرار محاولة إبراهيم مصطفى، الذي أخذ بأسباب التجديد، فيقول في مقدمة كتابه: « أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيرة، تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها.»⁽²⁾ ويبدو أنّ المؤلف لمسّ ضجر الناس من النحو القديم وتبرمهم بقواعده من خلال اتصاله الدائم بدراسة النحو وتدريسه.

حاول صاحب كتاب إحياء النحو إيجاد أصول جديدة تساعد في تعليم هذا النحو بطريقة يسيرة، ويرى أن الصعوبة تكمن « من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده، وأن يكون السواء في تبديل منهج البحث النحوي للغة العربية»⁽³⁾، فكان هدف المؤلف من هذه المحاولة هو قراءة قواعد النحو وفق منهج جديد يضي على اللغة صبغة حديثة تكون أقرب للدارس من التي كانت عليه.

كما هبت رياح التغيير أيضا على تلميذه مهدي المخزومي، الذي سلك نفس الطريق في محاولته لإصلاح النحو، فكان شديد التأثر بالدرس اللغوي الحديث، والأسس التي يقوم عليها، حيث يقول: « النحو عارضة تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور، فالنحو متطور أبدا لأن اللغة متطورة أبدا، والنحوي الحق هو ذلك الذي يجري وراء اللغة، يتتبع مسيرتها، ويفقه أساليبها، ووظيفة النحوي أن يسجل لنا ملاحظاته، ونتائج اختبارات في صورة أصول وقواعد تمليها عليه طبيعة هذه اللغة واستعمالات

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 16.

(2) إحياء النحو. ط: بلا. القاهرة: دار الآفاق، 2003.

(3) مقدمة إبراهيم مصطفى.

أصحابها، وأن يصف لنا مثلاً ما يطرأ على الكلمة... ويستند في استنباط هذا الأصل إلى استقراء واع، وملاحظة دقيقة»⁽¹⁾، ويبدو أن المؤلف سئم من المنهج الفلسفي ومن الأحكام المسبقة و العقلية التي سيطرت على الدرس النحوي، ويدعو إلى دراسة اللغة باعتبارها « ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له المجتمع من أحكام تستند إلى علل المجتمع نفسه، وقد لا يتفق مع ما يعرفه منطق العقل والفلسفة.»⁽²⁾

لقد خاض غمارَ التجديد عددٌ من الباحثين الذين ضاقوا ذرعاً بقواعد النحو، لكن بعضهم انتقد منهج النحو، والقواعد التي تحكمه، من دون إعطاء بديل لهذا المنهج، وبأتي في طليعة هؤلاء ابن مضاء القرطبي، الذي أعلن ثورة على النحو العربي، لكن محاولته كانت عقيمة نظراً لعدم اقتراح طريقة أخرى، عكس ما قدمه إبراهيم أنيس ومهدي المخزومي.

لم يمر ظهور اللسانيات في المناخ العربي مرور الكرام، حيث قامت ردود أفعال مناهضة لذلك، والسبب الرئيس في ذلك يعود إلى أن أغلب المشتغلين في هذا المجال « يرفض النظر في هذا العلم الجديد، أو لا يحاول تفهمه أو يعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من البلاد الغربية »⁽³⁾، يقول عبد الرحمن أيوب في مقدمة كتابه: « أما كيف يتلقى الناس هذا الكتاب فإني أعلم مقدماً أن منهم من سيعتبره كفراناً بثقافتنا التقليدية، وتجريحاً لسلفنا الصالح.»⁽⁴⁾

والظاهر أنّ ارتباط الدرس اللغوي العربي الحديث بالجهد الاستشراقي جعل بعض علماء العربية ينظرون إلى هذا الوافد الجديد نظرة شك وحذر.

(1) في النحو العربي. نقد وتوجيه. ط: 2. بيروت: دار الرائد العربي، 1986. ص 19.

(2) المرجع نفسه. ص 19.

(3) محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص 22.

(4) دراسات نقدية في النحو العربي. ط: بلا. الكويت: مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، 1957.

إلا أنّ هذا لم يمنع البحث اللغوي العربي من تخطي مرحلة البحث عن القواعد والعلل، فصار يركز على الموضوعية في تفسير الظواهر اللغوية، وكان هذا نتيجة «الرغبة في تطبيق هذا الجديد الذي تسلح به الدارسون في الغرب، واستشعار النحاة المحدثين أن درس العربية من منظور عربي ليس كافياً في هذه المرحلة.»⁽¹⁾

إنّ الذي شدّ اهتمام اللغويين العرب إلى الدراسات اللغوية الحديثة، هو أنها «تجعل اللغة موضوعاً للوصف، وتستخدم لذلك من المناهج ما يضمن الموضوعية التامة لهذا الوصف»⁽²⁾، وربما كان الوصف هو ما تحتاجه العربية آنذاك، في نظر اللغويين المحدثين، وعلى رأسهم تمام حسان، الذي ينتقد كثيراً البحث في جزئيات النحو، ويدعو إلى البحث في صلب المنهج، يقول في مقدمة كتابه⁽³⁾: «فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة، من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئاً بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة»، ويشير الكاتب في هذا الصدد إلى مشكلة الدراسات اللغوية القديمة التي اعتمدت على المعيارية في بحثها، ويرى أنه من الأجدر أن نهتم بدراسة ما هو موجود في أيدينا، وأن نبحت في صلب اللغة لا عن مادتها.

تجلت مظاهر درس اللغوي العربي في بعض المحاولات التي جاءت في عصر النهضة العربية، وقد كان الهدف منها وصل الدراسات العربية بالبحوث الغربية الحديثة، إذ برز هذا التأثير في مصنف جرجي زيدان "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" الذي أصدره في بيروت سنة 1886، حاول من خلاله عرض النظريات الغربية التي تأثر بها، على غرار نظرية النشوء والارتقاء، كما تبني نظريات اللغات المرتقية وغير المرتقية، وحاول

(1) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي. ص 197.

(2) تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية. ط:4. القاهرة: عالم الكتب، 2000. ص 31.

(3) المرجع نفسه.

البحث في طبيعة اللغة و وظيفتها وطرق دراستها.(1)

وظهر هذا التأثير أيضا في كتابات رفاعه الطهطاوي، حين دعا إلى إنشاء

مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي.(2)

وتعالت بعض الأصوات منادية « بإعادة فهم اللغة العربية من خلال ربطها بعائلة

الساميات»(3)، وقد ألفت عدة كتابات تدعو إلى ذلك.

وتجدر الإشارة هنا، إلى الخلط الذي صاحب ظهور هذا العلم الجديد في الفكر

اللغوي العربي من حيث وضع المصطلح، والفوضى التي أعقبت ذلك، حيث ظل هذا

النقاش متواصلا في ظل ثنائية المشرق والمغرب، حيث عقد اجتماع رفيع المستوى في

تونس لضبط مصطلح لهذا العلم، وحضر هذا الاجتماع عدد من علماء المشرق وعلماء

المغرب، ووسمت الندوة بـ " الألسنية و اللغة العربية " وهو المصطلح الذي كان شائعا في

تونس.(4)

وتشير بعض الدراسات إلى أن مصطلح "علم اللغة" الذي جعله عبد الواحد وافي

عنوانا لكتابه سنة 1941، يعد أول مصطلح استعمل مقابلا لمصطلح Linguistics

الانجليزي، أو Linguistique الفرنسي، ولا يزال هذا المصطلح شائعا إلى اليوم في

الكثير من المصنفات العربية.(5)

وعقب ذلك الاجتماع الذي انعقد في تونس، كانت معظم الأبحاث المقدمة آنذاك

(1) ينظر محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص 23.

(2) ينظر حلمي خليل، العربية و علم اللغة البنيوي. ط: بلا. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988. ص 139.

نقلا عن: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 12.

(3) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 13.

(4) عبد السلام المسدي، "علم اللغة أم اللسانيات". جريدة الرياض السعودية. العدد: 13457، 2005.

(5) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 13.

تحت عنوان الألسنية، وقرر العلماء توحيد المصطلح الدال على هذا العلم، فكانت تونس تستعمل الألسنية الذي راج فيما بعد في لبنان، ومصر استعملت مصطلح علم اللغة، وكان الجزائريون قد وضعوا مصطلح اللسانيات، وبه سموا معهدا متخصصا، وبه أيضا أصدرت مجلة متخصصة في هذا العلم، كذلك أطلق المغرب الأقصى على هذا العلم مصطلح اللسانيات⁽¹⁾، وانتهى علماء العربية إلى أن « أيسر المصطلحات وأسلسها ثم أقربها إلى روح العربية هو اللسانيات...وقد أجمع الحاضرون على ضرورة الالتزام بهذا المصطلح الموحد». (2)

(1) ينظر عبد السلام المسدي، " علم اللغة أم اللسانيات".

(2) المرجع نفسه.

ثانيا: أعلام اللسانيات العربية

إبراهيم أنيس:

تأثر إبراهيم أنيس بالمنهج الوصفي، وحاول نقله إلى الثقافة العربية بعد عودته من الجامعة العربية مباشرة، وبعد المؤلف صاحب « أول محاولة عربية لوصف أصوات العربية وصفا جديدا، أفاد فيها من جهود القدماء والمحدثين كليهما »⁽¹⁾، ويبدو أنّ الكاتب عندما بحث في مجال الدراسات الصوتية، أراد الجمع بين آراء القدماء والمحدثين في مجال الدراسة الصوتية، ومنه التأسيس للدرس اللساني العربي الحديث.⁽²⁾

انطلق إبراهيم أنيس من بحوث علماء العربية القدماء في الأصوات اللغوية، الذين « وصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم »⁽³⁾، والظاهر أنّ الكاتب أراد فتح باب البحث في اللغة العربية من خلال نشر الثقافة اللسانية في أوساط المشتغلين بالدراسات اللغوية، ومحاولة رفع اللبس عن كثير من القضايا والمفاهيم التي تناولها المتقدمون من علماء اللغة وتكررت عند المتأخرين دون فهم أو تجديد.⁽⁴⁾

فرّق المؤلف بين علمي الفونتيك PHonetics و الفونولوجيا PHonology،

ووصفا الأول بأنه « يعنى بالأصوات الإنسانية شرحا و تحليلا، ويجري عليها التجارب دون النظر إلى ما تنتمي إليه من لغات، وإلى أثر تلك الأصوات في اللغة من الناحية العلمية »⁽⁵⁾، في حين عرّف الثاني بوصفه « يعنى كل العناية بأثر الصوت اللغوي في

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 32.

(2) المرجع نفسه، ص 32.

(3) مقدمة إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية. ط: بلا. مصر: مطبعة نهضة. ت: بلا.

(4) المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه.

تركيب الكلام نحوه و صرفه»⁽¹⁾، واقترح عليه تسمية علم وظائف الأصوات، الذي يخدم -حسبه- بنية الكلمات و ترتيب الجمل.

وبعد تعريف هذين العلمين، أثار الكاتب أن ينسب دراسته هذه إلى فرع الفونولوجيا، رغم إقراره بقرب هذه الدراسة عند القراء إلى البحث الفونتيكي⁽²⁾، واشتغل عدد من الباحثين على تبيين الفرق بين هذين العلمين، وأيهما تنسب الدراسة إليه، ورأوا أن المؤلف لم يوفق في التمييز بين هذين المجالين بشكل واضح، ولا بين موضوعيهما، حيث لم يتطرق مطلقاً لنظرية الفونيم، ولا إلى مفهومه لدى علماء اللغة المحدثين، على الرغم من تصنيفه لهذا الكتاب ضمن البحث الفونولوجي.⁽³⁾

ولعل ما يميز علم الأصوات هو أنه « لا يهتم إلا بالتعبير اللغوي، دون المضمون الذي يقوم تحليله على القواعد والمعجم»⁽⁴⁾، فالصوت الإنساني الحي هو موضوع علم الأصوات، لذلك يعنى باللغة المنطوقة فقط.

ويبدو أن ما قام به المؤلف من عرض لظواهر الأصوات، كالجهر والهمس والرخاوة... الخ، وتحديد له مخارجها وصفاتها، وعرضه لأعضاء جهاز السمع وجهاز النطق وغيرهم، إنما هو لشرح و تبيين الصوت قبل إبراز أثره في الكلام، وهذا ما نجده في المنهج الوصفي؛ إذ لا يتم وصف الظاهرة إلا بعد دراستها، وهو ما قام به الكاتب حين عرض على ظاهرة "الصوت" بالدراسة ثم انتهى إلى الأثر الذي تحدثه في الكلام. ولم يقف الكاتب على الصوت فقط، فكانت له محاولة في دراسة اللهجات على الرغم من إقراره بصعوبة هذا الموضوع و تشعبه واصفا إياه « بعمل الهيئات العلمية،

(1) مقدمة إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية.

(2) المرجع نفسه.

(3) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة درس اللساني العربي الحديث. ص 33.

(4) حاتم صالح الضامن، علم اللغة. ط: بلا. جامعة بغداد: بيت الحكمة. ت: بلا. ص 47.

وقد لا يقوم به فرد وحده»⁽¹⁾

وحاول إبراهيم أنيس تخليص دراسة اللهجات العربية القديمة من الجدل والتخمين حين افترض لها أسسا علمية تصل من خلالها إلى الدقة و الضبط العلمي.⁽²⁾

ووقف الكاتب في هذا الكتاب على العلاقة بين اللهجة واللغة واصفا إياها بالعلاقة بين العام والخاص، والصفات التي تتميز بها لهجة عن أخرى هي الاختلاف الصوتي والفصائل التي تنتمي إليها اللغات، والأوصاف التي تشترك فيها.⁽³⁾

إنَّ أهم ما يميز هذا الكتاب هو عرضه لعلاقة الإعراب باللهجات، والعلاقة القائمة بين القراءات القرآنية و اللهجات، وتحدثه عن الظواهر الموجودة في العربية كالترادف والاشتقاق والتضاد، مقدِّما رأي القدماء والمحدثين فيها.

ووقف الكاتب أيضا على اللهجات العربية الحديثة، مركزا على لهجة القاهرة وخصائصها الصوتية، ليصل إلى نتيجة مفادها أن العناصر المشتركة بين اللهجات تنتمي في الأصل إلى لهجات عربية قديمة.⁽⁴⁾

كانت محاولة أنيس انطلاقة حقيقية لدرس لغوي عربي مغاير، وفق معالم جديدة، واستند الكاتب في هذا إلى الفكر الغربي، الذي حاول إسقاطه على التراث العربي، بغية إجراء تغيير منهجي يكفل التطور والتقدم للغة العربية.

عبد الرحمن أيوب:

تأثر عبد الرحمن أيوب باللسانيات الحديثة ممثلة في مدرسة التحليل الشكلي، ودعا

(1) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية. ط: 3. القاهرة: مكتبة أتجلو المصرية، 1965. ص 47.

(2) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 36.

(3) ينظر إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية. ص 15-16.

(4) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 36-37.

إلى توجيه الدراسة اللغوية إلى المنهج الوصفي الذي طبع اللسانيات آنذاك، يقول في مقدمة كتابه: « أصبحت دراسة الأصوات الخطوة الأولى إلى الدراسة اللغوية بمختلف فروعها، وازدهرت اليوم مدرسة تسمى بالمدرسة التحليلية الشكلية School of formal analysis ، وتتوعد نظرياتها، وأصبحت الدراسة اللغوية في بعض صورها أشبه بالمعادلات الرياضية». (1)

تتظر هذه المدرسة إلى النحو بوصفه « شكلي Formal غايته وصف العلاقات الناشئة بين العناصر اللغوية في الجملة وصفا موضوعيا» (2)، ويرى عبد الرحمن أيوب أن هذه المدرسة تتسم بأساسين مهمين في التفكير اللغوي العلمي هما (3):

- الموضوعية: ويقصد بها ألا تطبق على لغة قواعد لغة أخرى.

- الوصفية: ويقصد بها أن يكتفي الباحث اللغوي بوصف اللغة.

حاول المؤلف تخليص اللغة العربية من التعليل الفلسفي والمنطقي، وقد ظهر هذا جليا في اعتماده على الشكل والوظيفة كأساس في تصنيف الوحدات اللغوية، واستبعد في ذلك المعنى من التحليل اللغوي. (4)

وانتقد الباحث طريقة النحويين القدماء في تقسيمهم للكلام واعتمادهم في ذلك على دلالة الكلمة دون أخذ الاعتبار للشكل، وهو في هذا متأثر بمدرسة التحليل الشكلي التي تعتبر « شكل الكلمة لا معناها أساسا لتقسيمها» (5)، وكان هذا المنطلق هو الأساس لبلورة الاتجاه الشكلي في الثقافة العربية.

(1) دراسات نقدية في النحو العربي. ط: بلا. الكويت: مؤسسة الصباح للنشر و التوزيع. 1957.

(2) عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية. ص 65.

(3) حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 42.

(4) ينظر عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية. ص 66.

(5) عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي. ص 11.

قبل أن يعرض عبد الرحمن أيوب معالم المدرسة الشكلية، انتقد نمط التفكير النحوي العربي، وفرّق بين نوعين من الدراسة، أحدهما يبدأ من الجزء وينتهي منه، والآخر يدرس التركيب اللغوي من دون أن تفصل أجزاءه بعضها عن بعض يقول: «والصنيع الأول صنيع من يكون الشيء، أما الصنيع الثاني فصنيع من يصف تكوينه دون أن يتدخل فيه»⁽¹⁾، وبشير إلى أنّ الفرق بينهما كالفرق بين من يبني البناء ومن يصفه، منتقداً بذلك المدرسة اللغوية التقليدية، وهو في هذا « يتبنى النوع الثاني الذي تمثله المدرسة التحليلية الشكلية في نقد النحو العربي».⁽²⁾

لاحظ الباحث تأثر النحو العربي بالفلسفة اليونانية، وطغيان منطق أرسطو عليه، وهو السبب - في رأيه - الذي جعل النحو العربي يعاني « من التفكير الجزئي الذي يعنى بالمثل قبل أن يعنى بالنظرية»⁽³⁾، في إشارة إلى المعيارية التي قامت عليها البحوث العربية، ويصف النحو التقليدي بأنه لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبني القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثم يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التي يقول بها، وهذا النوع من التفكير لا يمكن أن يوصف بأنه تفكير علمي بالمعنى الحديث.⁽⁴⁾

ويقترح عبد الرحمن أيوب « أن يكون الأساس الشكلي أساس كل تقسيم صحيح»⁽⁵⁾، وإن لم يكن قد اقترح تقسيماً جديداً، لكنه أشار في مقابل ذلك إلى نظام العلامات التي هي - في نظره - كفيلة بإقامة الحدود الجامعة المانعة.⁽⁶⁾

(1) عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي. ص 3.

(2) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة درس اللساني العربي الحديث. ص 45.

(3) مقدمة عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي.

(4) المرجع نفسه.

(5) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ص 234.

(6) المرجع نفسه. ص 234.

كما استطاع الكاتب أن يوظف « النظرة الوصفية في معالجة ظاهرة الإعراب،

بشكل خاص، ومسائل النحو عموماً، هذه النظرة التي ترفض التعليل المنطقي

والتقديرات...وتقوم على الوصف واعتماد الشكل والوظيفة اللغوية أساساً للتصنيف»⁽¹⁾.

يبدو أنّ الكاتب قد التزم بمبادئ المدرسة الشكلية التحليلية، ويظهر هذا في تقسيمه

لللمة، وفي نظريته للتراث اللغوي، ومحاولته نقل الثقافة العربية من طابعها التقليدي إلى

التجديد.

محمود السعران:

قدّم محمود السعران، لللسانيات الحديثة، من خلال كتابه "علم اللغة مقدمة للقارئ

العربي"، وكان شديد الحرص على تقديمها في صورة مبسطة وواضحة، حتى يتيسر

للقارئ العربي الولوج إلى دخلاء هذا العلم، يقول: « مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة

شيئاً ما تهيئة لذهن القارئ الشادي لتلقي هذا العلم بأيسر سبيل، وأدنى جهد »⁽²⁾

وإذا ما تأملنا هذا الكتاب، نجد المؤلف قد عمد إلى تقسيمه إلى خمسة أبواب تناول

من خلالها عدة قضايا ومفاهيم لغوية.

خصّ المؤلف الباب الأول للتعريف بعلم اللغة الحديث وطبيعة الدراسة العلمية

للغة، يقول: « إنّ علم اللغة من حيث هو علم يرشدنا إلى مناهج سليمة لدرس أي ظاهرة

لغوية، وهو يهديننا إلى مجموعة من المبادئ والأصول متكاملة مترابطة عن اللغة وحقيقتها

ينبغي أن تكون في ذهن الباحث اللغوي على الدوام أياً كان موضوع بحثه »⁽³⁾، ويفسر

الكاتب توجهه لهذا العلم بقوله: « إنّ علم اللغة هو وجهة النظر الجديدة، أو الفلسفة

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 46.

(2) المقدمة.

(3) المرجع نفسه. ص 21.

الجديدة، التي حلت محلّ وجهات النظر القديمة والفلسفات اللغوية السابقة» (1)، وبعد أن عرّف الكاتب علم اللغة والتوجه الذي يرمي إليه، تحدث عن نشأة اللغة قديماً وحديثاً، كما ركز على أفكار دي سوسير ومفهومه للغة، وتحدث عن السيميولوجيا ونظام العلامات، وتطرق إلى استعانة اللغة بعلوم أخرى، ووقف عند الفلسفة اللغوية وعلاقتها بطبيعة اللغة. تحدث الكاتب في الباب الثاني عن المستوى الذي تقوم عليه الدراسات اللسانية، وهو المستوى الصوتي، حيث اعتبره «حجر أساس في أي دراسة لغوية» (2)، وفصّل الحديث في هذا الباب عن الأسس الصوتية السابقة عند اليونان والرومان والهنود والعرب، بالإضافة إلى علم الأصوات الحديث. (3)

وكان الحديث في الباب الثالث عن النحو، وتركيب اللغة، وعن النحو الوصفي والمقارن، واصفاً كل نحو وموضوعه، أما الباب الرابع؛ فخصه لعلم الدلالة، أو دراسة المعنى، ووصفياً وتاريخياً، وتطرق إلى معاني بعض الكلمات في القرآن الكريم وبعض أشعار العرب، وأشار للمعنى عند دي سوسير، حيث وقف بالتفصيل لأهم المدارس التي اهتمت بالمعنى، وعرض من خلالها لآراء مالينوفسكي Malinoviski الذي أقام عليها فيرث نظرية سياق الحال (4)، ويرى السعران أن هذه النظرية تنظر للمعنى على أنه «وحدة مركبة من مجموعة الوظائف اللغوية الصوتية والفونولوجية والنحوية والمعجمية» (5)

وجعل الباب الخامس للحديث عن تاريخ الدراسات اللغوية من العصور القديمة إلى العصور الوسطى، وعصر النهضة حتى علم اللغة في أحدث صورته.

بعد هذه الدراسة القيمة التي قام بها محمود السعران في كتابه علم اللغة مقدمة

(1) المقدمة.

(2) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص 123.

(3) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 51.

(4) ينظر حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 46.

(5) المرجع نفسه. ص 46.

للقارئ العربي، انتهى إلى أن « علم اللغة قد قدّم مبادئ لم يعد من الشك في أنها أكمل وأشمل وأصدق وأضبط واعتمد على وسائل وآلات أدق مرات ومرات من وسائل الأقدمين وآلاتهم»⁽¹⁾

لقد كانت محاولة السعران متشعبة بمبادئ اللسانيات الحديثة ويبدو أنّ الكاتب كان متأثراً بدي سوسير وما قدمه لعلم اللغة، وقد ظهر ذلك في مختلف فصول الكتاب.

عبد الرحمن حاج صالح:

تميز عبد الرحمن حاج صالح بفكره اللساني، وحاول قراءة اللغة العربية من وجهة مغايرة، فكان من « الأوائل الذين عرفوا القارئ العربي بأساسيات اللسانيات الغربية... وضع نظرية لسانية عربية وسمها بالنظرية الخيلية الحديثة، يرى فيها مستقبل النحو العربي، وهو إلى ذلك صاحب مشروع لغوي عربي سمّاه بالذخيرة العربية أو الانترنت العربي»⁽²⁾

وكان واسع الاطلاع على الفكر اللغوي عند العرب وعند الغرب، فلم ينبهر بالمناهج الغربية الحديثة إلى درجة التسليم بكل ما تناولته، ولم يتقيد بالتراث العربي إلى حد الخضوع والتقليد، يقول: « أصل الأصول هو الاستقلال المطلق وعدم الخضوع لنظرة الغير والامتناع عن التمسك بعقيدة سابقة غير الأصول العقلية والعلمية المجمع على صحتها في كل زمان وفي كل مكان »⁽³⁾، فكانت نظريته هذه تتم على كثير من الموضوعية والدقة في التناول والطرح، حيث كان شديد الحرص على التأكد من الأفكار والنظريات بالدراسة والدليل، واستطاع الباحث الكبير بفضل اطلاعه الواسع في هذا العلم،

(1) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص 21.

(2) الشريف بوشحان، "الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية". مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة محمد خيضر بسكرة. العدد: 7، جوان 2010. ص 2.

(3) عبد الرحمن الحاج صالح، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي. الجزائر: المجمع اللغوي للغة العربية. العدد: 4، ديسمبر 2006. ص 9.

أن يكشف مواطن الإشكال في الدرس اللغوي العربي، ولاحظ في نقده لهذا الواقع العربي أنّ المشكلة تكمن أساساً في تدريس العربية وتعلّمها، حيث دعا إلى تغيير الوضع العلمي بشكل جذري لأنه -في رأيه- لا يخضع للأسلوب العلمي، خاصة في البحث عن الأسباب وجمع الحقائق الميدانية وتحليلها، وكشف العيوب التي عجلت بتهميش العربية وتقليص مجال استعمالها، حيث يرى أنّ المادة اللغوية في التدريس تتصف بغزارة الألفاظ و غرابة المدلولات⁽¹⁾، إضافة إلى النظرة السطحية للغة العربية التي يعاني منها المعلم اليوم، وتجاهل المدرسين لهذه المادة والأساليب التي تتصف بالخفة والابتذال ولا تخضع للحركات والتنوين، مبيناً أن الكثير من هذه الأساليب قد ثبت استعمالها في كلام العرب الفصحاء وفي الأداء القرآني.⁽²⁾

أعجب الباحث بطريقة الخليل في وصف الحروف العربية و تحديد مخارجها، ويرى أن جل ما قدمه الخليل وعلماء العرب قد أثبتته العلم الحديث في المختبرات والاستدلال الحاسم، فتبنى بعض مصطلحاتهم، ومن ذلك مصطلح " علم اللسان " الذي فضله على مصطلحات أخرى ظهرت في العصر الحديث، مؤكداً أنّ مدلول هذا اللفظ هو الأقرب للدراسة العلمية لظاهرة اللسان بصفة عامة.⁽³⁾

أكد حاج صالح في كثير من المواضيع أصالة النحو العربي و دقته، وانتقد التبعية العمياء التي ليست من العلمية في شيء، إذ لا يفرق بين تبعية الماضي المتمثلة في تقليد المتأخرين من علماء العرب دون المتقدمين منهم، وبين تبعية الحاضر المتمثلة

(1) ينظر الشريف بوشحان، "الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية". ص7.

(2) المرجع نفسه، ص 7.

(3) ينظر منصور ميلود، "الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن حاج صالح من خلال مجلة اللسانيات". مجلة العلوم الإنسانية. جامعة محمد خيضر بسكرة. العدد 7، جانفي 2005. ص 3-4.

في تقليد اللسانيات الحديثة.⁽¹⁾

بذلك، كانت دعوى الكاتب إلى عدم التسليم بكل ما هو حديث، وإهمال القديم،

وإنما التحري عن المواضيع بالأدلة والبراهين.

وكان للباحث موقف من قضية تأثير النحو العربي بمنطق أرسطو، فكان واضحا

في هذه القضية التي تثار كلما أثير موضوع نشأة النحو، حيث يستعرض الحجج

والبراهين التي تفند هذه المقولة المزعومة، ويرجع ظاهرة نشأة النحو إلى ثورة الإسلام التي

قلبت أوضاع العالم القديم⁽²⁾، فقصر مدة نضج النحو لا تعني تأثره بالمنطق اليوناني

أو الفلسفي، ولكن سببها الرئيس هو ظهور الإسلام.

إنّ ما يلاحظ عن حاج صالح هو دقته الكبيرة و موضوعيته، إذ لا يسلم بأي علم

حتى يتحرى موضوعه جيدا، وهذا ما جعل من دراسته تتسم بالعلمية التي دعى إليها وفق

ما جاءت به اللسانيات الحديثة، مرتكزا في الأساس على الفكر اللغوي العربي، حيث يؤكد

على « ضرورة التمحيص الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية، إذ لا يجوز أن تقبل أي

نظرية كليا أو جزئيا إلا كآراء وافتراضات ». ⁽³⁾

(1) ينظر محمد الأمين هراكي، "الدرس اللساني وخصائصه عند عبد الرحمن الحاج صالح"، (رسالة ماستر)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، ص 20.

(2) ينظر عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. ط: بلا. الجزائر: موفم للنشر، 2007. ج1. ص 49-50.

(3) خان محمد، "الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي". مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 7، جانفي 2005. ص 3-4.

المبحث الثاني: الوصفية و المعيارية في البحوث اللسانية العربية

أولاً: الوصفية في البحوث اللسانية العربية

كانت الدّراسات اللغوية العربية فيما مضى تشغل حيزاً كبيراً من الاهتمام والتقدير، وهي إلى يومنا هذا كذلك، إلا أنها في هذه الفترة المتأخرة أصبحت تتعت بالصعوبة والتعقيد، يقول تمام حسان: « لقد مُنيت الدراسات اللغوية العربية مدّة طويلة بسمعة الصعوبة، وأحياناً بسمعة التعقيد، ولعلّ نعت الدراسات العربية هذه النعوت إنما جاءها لعدم التجديد في منهجها.»⁽¹⁾

ولقد صاحب هذه النظرة للغة العربية ظهور المناهج اللسانية الحديثة التي توصلت إلى حد لا بأس به من الأفكار والمعارف المتميزة بالدقة والموضوعية، وساعدها في ذلك قيامها على المنهج التجريبي باستعمالها الآلات والأجهزة المعملية التي تساعد الدارس والباحث على الوصول إلى مراده في أيسر طريق، كما أنها تعطي له فرصة الدرس العلمي التحليلي المعتمد على الحقائق التي تجسد أجزاء اللغة، فيمكن دراسة أي ظاهرة لغوية باستحضار العينات اللغوية وتحليلها والوقوف على القوانين التي تحكمها⁽²⁾، فتعالت بذلك أصوات المنادين بضرورة تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية لتخليصها من التعليل المنطقي و الفلسفي الذي صاحبها.

غير أنّ نظرةً فاحصة لما قدّمه علماء العربية في القرون الأولى من دراسة العربية تقودنا إلى ما وصل إليه العلم الحديث في جزء كبير منه، حيث كانت طريقة البحث تنسم بالوصف الدقيق للظاهرة اللغوية، وكان رجال النحو إذ ذاك يعتمدون على هذا المنهج في التقييد للنحو العربي.

(1) مقدمة مناهج البحث في اللغة.

(2) ينظر عبد الغفار حامد محمد هلال، علم اللغة في الدراسات العربية و الغربية قديماً و حديثاً. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي، 2013. ص 13.

وبين القديم والحديث فاصل من الأفكار والتوجهات، ظهرت في الساحة العربية

أثرت بشكل متفاوت على المناخ العلمي العربي، وكان المنهج الحديث يمثل محور هذا النزاع، لذلك تبادر إلى ذهن الدارس العربي في شأن البحوث اللغوية القديمة أسئلة منها: بماذا اتصفت الدراسات اللغوية العربية يوم نشأتها؟ وعلى أي منهج اعتمد العلماء في دراساتهم وقتئذ؟ و إلى ما تدعو البحوث اللسانية العربية اليوم؟

إنَّ الإجابة عن هذه التساؤلات تُحتم علينا النظر في البحوث العربية، وللكشف عن كنه منهج هذه الدراسات اختار الدارسون إعادة استقراء التراث اللغوي والنحوي للعربية.

كان القرآن الكريم هو السبب الرئيس في عناية العرب بلغتهم، وذلك خشية ضياعه وتحريفه، بعدما نفى اللحن في كثير من أسنة العرب باختلاطهم بالأعاجم ممَّن دخلوا في الإسلام، وكانت نشأة « الدراسات اللغوية عند العرب في منتصف القرن الأول الهجري لخدمة القرآن ولمقاومة اللحن الذي شاع على الألسنة»⁽¹⁾، وعلةُ شيوع اللحن وانتشاره تعود إلى تعرّب الشعوب المغلوبة، وبُعد العرب في الأمصار الإسلامية عن ينابيع الفصحى، واتساع شيوع اللحن حتى على أسنة بلغاء العرب وخطبائهم⁽²⁾، وبعد أن آل الأمر إلى هذا الحد، صار لزاماً على العرب وضع حدود ترسم لغتهم وتحفظها، وبذلك صار الوضع مهيباً « لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات و التراكيب»⁽³⁾.

تتميز الدراسة الأولى التي قام عليها النحو العربي بالنزعة الوصفية، وتتجلى بذور المنهج الوصفي في الدراسات اللغوية العربية المبكرة في « اتصال أوليات النحو العربي بالواقع اللغوي اتصالاً مباشراً، و الواقع اللغوي هو الاستعمال، والاستعمال من أهم الركائز

(1) صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن. ص 49.

(2) ينظر شوقي ضيف، المدارس النحوية. ط: 7. القاهرة: دار المعارف، ت: بلا. ص 11.

(3) المرجع نفسه. ص 12.

للمنهج الوصفي». (1)

إن المتأمل لقواعد النحو العربي يظهر له أنها كانت تسير وفق استعمال العرب المطرد في كل ظاهرة نحوية، وأن قواعد لم تكن كلها تأويلاً أو تقديراً أو تعليلاً (2)، وكثير من العبارات التي تدل على امتداد المنهج الوصفي في القياس على كلام العرب في كتاب سيبويه، كقوله: «ومن ذلك قول العرب» (3)، وقوله عندما أراد التعميد للظاهرة النحوية «لكثر ذلك في كلامهم و استعمالهم إياه». (4)

وهكذا نجد أن سيبويه اعتمد القياس، وأكثر منه في كتابه، متخذاً السماع أساساً في قياساته، بل و صور ظاهرة طواعية اللغة و مرونتها في القياس تصويراً يدل على منهج وصفي بحت. (5)

وهذا ما يثبت أن النصوص التي استقاها النحويون في ذلك الوقت كانت من الواقع اللغوي حيث حرص النحاة على « تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشاهدة الأعراب والنقل عنهم مما مهد إلى استقراء و استنباط القواعد نتيجة لهذا الاستقراء». (6)

ونجد أن ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري يصف النحو بأنه: « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث. ص 14.

(2) ينظر محمد محمد داود، العربية و علم اللغة الحديث. ص 171.

(3) أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: 3. القاهرة: الخانجي للنشر، 1998. ج: 1. ص 208.

(4) المرجع نفسه. ص 280.

(5) ينظر محمد سالم صالح، أصول النحو دراسة في فكر الأنباري. ط: 1. القاهرة: دار السلام للطباعة و النشر، 2006. ص 62.

(6) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث. ص 14.

الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم؛ وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها.»⁽¹⁾

وكان ابن جني حريصا على جمع مادته من أفواه العرب ⁽²⁾، حيث يسأل أهل العربية - في زمانه- عن بعض الكلمات والصيغ والأوزان، واستطاع ابن جني أن يفرد كتابا خاصا للأصوات أسماه "سر صناعة الإعراب" « تحدث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، وما يحدث في صوت الكلمة من إعلال وإبدال وإدغام ونقل وحذف، وما يجري في حروفها من تلاؤم يؤدي إلى جمال الجرس»⁽³⁾، واستطاع هذا الكتاب وصف أصوات اللغة العربية و وظائف هذه الأصوات و معانيها.

وتتجلى مظاهر المنهج الوصفي في الدرس اللغوي العربي قديما أيضا في « رحلة النحاة إلى البادية لجمع اللغة و حرصهم على تسجيل الواقع اللغوي كما ينطق البداية »⁽⁴⁾، وهذا ما يثبت أنَّ النحو العربي نشأ وفق طبيعة الحياة العربية، وكان أساسه النقل والرواية، فقد كان اللغويون يذهبون إلى أعماق نجد، وبيوادي الحجاز وتهامة، وكان « أبو عمرو بن العلاء من أهم اللغويين الذين اهتموا بجمع اللغة من ينابيعها الصافية»⁽⁵⁾، لذلك فإنَّ كثيرا من قضايا اللغة قد تم تناولها وفق اتجاه وصفي.

وقام أبو الأسود الدؤلي بمحاولة لوصف مخارج الحركات، وذلك بوضع النقاط على الحروف، و وضع رمز خاص لكل حركة.⁽⁶⁾

وظهرت أيضا ملامح الاتجاه الوصفي في العربية فيما قام به بعض العلماء عندما

⁽¹⁾ أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط: بلا. مصر: دار الكتب المصرية. ت: بلا، ج 1. ص 34.

⁽²⁾ ينظر محمد محمد داود، العربية و علم اللغة الحديث. ص 171.

⁽³⁾ صلاح الدين حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن. ص 51.

⁽⁴⁾ محمد محمد داود، العربية و علم اللغة الحديث. ص 171.

⁽⁵⁾ صلاح الدين حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن. ص 54.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه. ص 50.

ربطوا أصوات الكلمات بالأصوات المشابهة لها، كالفهقهة حكاية صوت الضحك، واللولولة حكاية قول المرأة: واويلاه⁽¹⁾، وأصوات الحيوان مثل الخوار للبقرة، واليعار للمعز، و النباح للكلب، والقباع للخنزير، والزمار للنعام، والعندلة للعندليب، وكأصوات الماء: الخير صوت الماء الجاري، والشخبُ: صوت اللبن عند حلبه.⁽²⁾

وكان الخليل بن أحمد سابقا إلى الدراسات الصوتية، فقد اكتشف أن صوت الحرف لا يتضح إلا بالوقوف عليه ساكناً والمكث عنده طويلاً، وقام بوصف الأجراس الصوتية للحروف من همس و جهر وشدة ورخاوة...، ووصف أصوات الحركات وما يداخلها من روم وإشمام وإمالة، وتبين له أن التغير الذي يصيب الصوت في بنية الكلمة يؤدي به إلى القلب أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام⁽³⁾، واستطاع الخليل من خلال تعمقه في هذه الجوانب اختراع علامات الضبط التي لا تزال نستعملها إلى اليوم فأخذ من حروف المدّ صورها مصغرةً للدلالة عليها، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف، والكسرة ياء متصلة تحت الحرف و الفتحة ألف مبطوحة فوقه.⁽⁴⁾

واعتمدت المدرسة الكوفية التقليدية أيضاً في بداية نشأتها على المسموع واستتبقت القواعد من النصوص بدل إخضاعها للقواعد، حيث لم تعتمد بحوث أصحابها على التأويلات البعيدة المتكلفة، كما أنهم أبعثوا الدرس اللغوي عن المنطق⁽⁵⁾، فهذه الطريقة في الدراسة قريبة من المنهج الوصفي.

وكذا جنح الكوفيون إلى « تناول الظاهرة اللغوية على أساس شكلي و ليس على

(1) ينظر أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، فقه اللغة و أسرار العربية. ط: 2. بيروت: المكتبة المصرية، 2000. ص 240.

(2) المرجع نفسه. ص 244.

(3) ينظر صلاح الدين حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي و التاريخي و المقارن. ص 50.

(4) المرجع نفسه. ص 51.

(5) ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث. ص 15.

أساس معنوي، والشكل هو الظاهر، والمنهج الوصفي يعنى بالظاهر»⁽¹⁾، وقدّمت هذه المدرسة للنحو العربي قالباً نحويّاً وصفيّاً، من خلال اعتمادها على السماع كأساس لتفعيد الظواهر النحوية.

والمتمآمل لطبيعة المنهج الوصفي يرى أنه يقوم على أساس وصف اللغة في مستوياتها المختلفة؛ أي في أصواتها وأبنيّتها الصرفية وتراكيبها النحوية ودلالاتها المعجمية والبلاغية، وعندما كان هدف النحاة من هذه الدراسة « انتحاء سمت كلام العرب»⁽²⁾، لجؤوا إلى وصف اللغة العربية، وتتبعوا القبائل التي عرف عنها الكلام الفصيح والصحيح، والبُعد عن مواقع التأثر و التأثير، وقاموا باستقراء هذا الكلام، وانتهوا إلى قياس ما لم ينقل على ما نقل إذا كان في معناه.⁽³⁾

بذلك كانت الدراسات العربية القديمة مبنية على الوصف في الكثير من صورها،

ويؤكد ذلك أحمد مختار عمر في قوله: « فمن المنطقي أن يكون البحث اللغوي عند العرب قد بدأ في شكل جمع للمادة اللغوية، أو ما يعرف بمتن اللغة... وقد تم هذا الجمع بطريق المشافهة و الحفظ.»⁽⁴⁾

وما يؤكد صحة ما ذهب إليه أحمد مختار عمر، أن سيبويه جمع في كتابه ما يقارب خمسين وألف بيت من الشواهد، بالإضافة إلى عدد هائل من آي القرآن الكريم، فكانت دراسته للظواهر اللغوية وصفية تتخللها بعض الجوانب المعيارية⁽⁵⁾، واستطاع سيبويه ومن قبله أستاذه الخليل « وصف أصوات اللغة العربية وصفاً دقيقاً مستقلاً»⁽⁶⁾

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، ص 15.

(2) ابن جني، الخصائص. ص 34.

(3) ينظر ابن الأثيري، الإغراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط: بلا. سوريا: مطبعة الجامعة السورية، 1958. ص 45.

(4) البحث اللغوي عند العرب. ط: 6. القاهرة: عالم الكتب، 1988. ص 80.

(5) ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور. ص 38.

(6) المرجع نفسه. ص 38.

نال إعجاب النحويين من بعده، وقد علّق الرماني النحوي على محتوى هذا الكتاب بقوله: « إنَّ فيه كل ما يؤدي إلى سلامة اللغة في ألفاظها من حركة وبناء وفي تراكيبيها من تقديم وتأخير وذكر وحذف، وفي معرفة حقائقها، وأسلوب الكلام على سمتها، فكان في الكتاب نحو وصرف، وبلاغة و نصوص أدبية من قرآن وشعر ونثر، وكان فيه قراءات وأصوات ولهجات.» (1)

ومدرسة الكوفة هي مدرسة وصفية بامتياز، حيث « يغلب عليها طابع النقل والوصف والأخذ بالأشياء كما وجدت.» (2) فكانت عنايتهم متجهة إلى النقل، ويُرجعُ بعض الدارسين اتجاه الكوفة المعتمد على النقل إلى الصحابي الجليل "عبد الله بن مسعود" الذي نزل على المدرسة الكوفية. « ولعل هذا الارتباط بين ابن مسعود وبين النصوص هو الذي أثر في توجيه الثقافة الكوفية إلى النقل» (3)، لذا فنظرة الكوفيين إلى النصوص كانت نظرة وصفية لا تميل إلى النظرة العقلية أو الفلسفية، ومعالجة هذه النصوص -في حالات كثيرة- حسبما هي عليه، ولو أدى الأمر إلى استخراج قياس جديد ينطبق على النصوص الطارئة التي لم تخضع للقواعد المستقرة السابقة. ومما ساعد هؤلاء على دراسة النحو اهتمامهم بالقراءات القرآنية التي كان لها فضل كبير في توجيه المدرسة، وكانت هذه القراءات مصدرا هاما من مصادر نحوهم، ولم يُخطئوا القراءات القرآنية إلا نادراً. عكس ما قام به بعض البصريين حين خطئوا عدّة قراءات قرآنية لعدم موافقتها منهجهم (4)، لذلك انتهج الكوفيون نهجا وصفيا حقيقيا يمثل المنهج الوصفي الحديث الذي ينأى عن الجوانب التي تبحث عن الأغراض العملية أو تسعى لتحقيق أغراض تربوية ، أو تصحيح أخطاء

(1) مازن المبارك، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه. ط: بلا. دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ت: بلا. ص 28.

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور. ص 39.

(3) تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. ط: بلا. القاهرة: عالم الكتب، 2000. ص 29.

(4) ينظر مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. ط: 2. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1958. ص 22-26.

لغوية، وترمي إلى الكشف عن حقيقة اللغة بطريقة موضوعية.⁽¹⁾

⁽¹⁾ ينظر مقدمة رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط: 3. القاهرة: مكتبة الخانجي ، 1997.

ثانياً: المعيارية في البحوث اللسانية العربية

يختلف المنهج المعياري عن المنهج الوصفي؛ إذ يقوم « على فرض القاعدة؛ أي يبدأ بالكليات و ينتهي إلى الجزئيات»⁽¹⁾، ويعتمد في ذلك على معيار الخطأ والصواب، وقد غلبت هذه الدراسة على البحوث العربية التي قامت بعد القرن الرابع هجري، فصارت الاتجاه السائد في النحو.

وقد سار رجال النحو على هذا المنهج، وهدفهم في ذلك حفظ اللغة العربية، واللغة عندهم هي « ما يجب أن يتكلمه الناس، وليست ما يتكلمه الناس بالفعل»⁽²⁾ ويعتمد المنهج المعياري على القاعدة ويحدد الصواب و الخطأ في الاستعمال اللغوي، ولما كان تركيز علماء العربية منصبا على توجيه الناس نحو الصحيح من قواعد اللغة اجتهدوا وفق هذه الطريقة.

وقد يرجع اعتماد العربية على المعيارية، بعد أن كانت بحوث علمائها أقرب إلى الوصف، إلى تأثير المنطق في هذه الأبحاث⁽³⁾، إذ يشير بعض الدارسين إلى تأثير النحاة العرب بهذا المذهب بعدما ظنوا أنّ « النحو قد نضج حتى احترق»⁽⁴⁾، وكانت دعوى هؤلاء مبنية على المشترك القائم بين المنطق والمنهج المعياري، إذ يعرف المنطق بأنه « آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفساد المعنى من صالحه كالميزان»⁽⁵⁾.

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 23.

(2) كمال بشر، دراسات في علم اللغة. ط: 9. القاهرة: دار المعارف، 1986. ص 50.

(3) ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 17.

(4) مقدمة تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها.

(5) عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث. ص 67.

وقد اهتم العرب بتعليم الناشئة وغير الأعراب قواعد اللغة التي استقرؤوها من المشافهة، فاتجهوا بذلك وجهة تعليمية، يقول أحد الدارسين: « إنَّ العناية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي، أو بعبارة أخرى أن يكون نحواً معيارياً لا نحواً وصفيًا»⁽¹⁾، ولخصَّ تمام حسان هذا الموقف بقول محمد بن مالك في ألفيته فما أبيح أفعال ودع ما لم يبح.

وتكون المعيارية عبارة عن لهجة من اللهجات ترقى إلى مستوى التقليد، يستعملها مجموعة من الناس، فتصبح بذلك عرفاً بينهم، حيث تُسَطَّر لها قواعد وأصول.⁽²⁾

لقد أخضع النحاة اللغة لمقياس الخطأ و الصواب في الاستعمال، وفرضوا عليها مجموعة من القواعد، وجعلوا كل ما لا تنطبق عليه هذه القواعد إما شاذاً أو خطأ لا يجوز استعماله، وإن كان شائعاً في الاستعمال.⁽³⁾

كان التفكير النحوي يسعى إلى المحافظة على سلامة اللغة العربية، وهدفه في ذلك « تعليمي يرمي إلى تعليم الأنماط اللغوية، التي تمكن الناس من عرب وغيرهم من تعلم لغة القرآن الكريم والتعامل بها فيما بينهم»⁽⁴⁾ وتجلت مظاهر هذا القصد في مجموعة من القضايا ارتآها علماء النحو للمحافظة على هذه اللغة والبلوغ بها مقصد التعليمي، وهي القياس و التعليل.

ويفرق تمام حسان بين موقفين من اللغة، موقف المتكلم منها، وموقف الباحث، ويعتبر أنَّ النحويين العرب نظروا إلى اللغة من جهة المتكلم بينما كان الأجدر بهم أن

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها. ص 13.

(2) ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 24.

(3) ينظر تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية. ص 26.

(4) حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ص 119.

يقفوا هاهنا من جهة الباحث، ويستند في هذا إلى إنزالهم اللغة منزلة العادات والتقاليد والأصول السلوكية التي يجب أن تراعى وتطابق⁽¹⁾، حيث تخضع لما يحدده العرف؛ إذ إنَّ « العرف هو الذي يحدد معايير الاستعمال في اللغة، فإذا كان الفرد خاضعا دائما لما يحدده العرف من المقاييس الاجتماعية، فهو خاضع أيضا لما يحدده العرف من معايير اللغة»⁽²⁾.

بينما ينظر الباحث إلى اللغة باعتبارها حقيقة اجتماعية، تختلف من مجتمع إلى آخر، فالصلة وثيقة بين اللغة والمجتمع، يقول تمام حسان: « فلا شك أن اللغة، وهي نشاط اجتماعي يجب أن تدرس كذلك بالملاحظة والوصف، إذا أريد لدراستها أن تكون جدية منتجة»⁽³⁾

ويشير بعض الدارسين إلى أنَّ الفرق بين الباحث والمتكلم « فرق في الوظيفة، إذ بينما يطبق المتكلم أسس النظام اللغوي من دون أن تكون هذه الأسس واضحة لديه، فإنَّ الباحث يستعمل الاستقراء ليصل إلى وصف الظواهر اللغوية»⁽⁴⁾.

ويرى تمام حسان أنَّ « من مظاهر موقف المتكلم من الاستعمال اللغوي أن يراعي معايير اجتماعية معينة يطابقها في الاستعمال، ويقيس في كلامه على هذه المعايير»⁽⁵⁾ وهذه الظاهرة سماها الصوغ القياسي Analogic creation ، وهي عبارة عن صيغ يستعملها الفرد لم ترد في لسانه، فإذا كانت هذه الصيغة تقاس على ما يتكلمه مع المجتمع، كان مجانباً للمستوى الصوابي الاجتماعي ، وتختلف اختلافا جوهريا مع ما

(1) اللغة بين المعيارية و الوصفية. ص 18.

(2) المرجع نفسه. ص 18.

(3) المرجع نفسه. ص 23.

(4) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 72.

(5) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 40.

يصاغ من كلمات على قاعدة معينة، مرجعها في اللغة السماع. (1)

والصوغ القياسي هو « مقدرة خاصة اكتسابية، يكتسبها الفرد من طفولته ولها علاقة

وطيدة بالمجتمع اللغوي الذي يعيش فيه، ووفقا لها تحصل لديه ملكة قياس صيغ لم

يسمعها على صيغ قد سمعها» (2)، ويطبق الإنسان هذه الظاهرة في كلامه اليومي، ويكون

ذلك دون وعي منه أو شعور « فنحن نقيس الصيغ و الجمل التي ننطقها على النماذج

التي سمعناها أو تكلمنا بها» (3)، وتراعي هذه الظاهرة الذوق اللغوي العام، الذي يفضله

تشيع الكلمة فتقبل، أو ترفض لعدم استحسانها من المجتمع. (4)

وهناك عدة طرق تصاغ على إثرها الكلمات كالتعريب والترجمة، ويراعي الواضع

القالب الصوتي و الصرفي الذي ينبغي أن يضع فيه الكلمة الجديدة، بحيث يكون موافقا

للعربية، وتعد عملية الصوغ القياسي عملية معيارية بامتياز، إذ « كل شرط من هذه يمثل

معيارا يتحكم في مجرى عمل المتكلم أو الواضع» (5)

وترتبط هذه العملية « بمعايير اجتماعية شأنها في ذلك شأن المستوى الصوابي» (6)

وهذه العملية « مؤسسة على المنطق، خالية من كل وجهة نظر علمية، وهي لا تهتم

باللغة نفسها، بل ترى فقط أن تسن القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير

الصحيحة، وهذا منهج معياري، بعيد عن الملاحظة الخالصة، يفرض وجهة نظره

فرضا» (7)

(1) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 39.

(2) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 29.

(3) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 40.

(4) المرجع نفسه. ص 42.

(5) المرجع نفسه. ص 43.

(6) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 29.

(7) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 43.

وقد أجمع أغلب أهل اللغة على وجود القياس في اللغة، وأن العرب تشتق الكلام من بعضه، يقول ابن فارس: «إنّ الذي وقفنا على أنّ الاجتتان التستر هو الذي وقفنا على أنّ الجنّ مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها»⁽¹⁾

ويعد المستوى الصوابي مقياساً اجتماعياً يميل المرء إلى مطابقته، فهو غير الصوغ القياسي الذي يمثل طريقة تكوين المفردات والجمل المستعملة حوله في بيئته اللغوية.⁽²⁾

ويعتمد هذا المستوى على عدة عناصر تلزم من يريد تكلم أي لغة أو لهجة أن يطابق جميع هذه العناصر من « أصوات ومفردات وصيغ وطرق تركيب جمل ونبر وتنغيم، وإشارات باليدين والوجه أثناء الكلام، وطرق استجابة لما يسمع»⁽³⁾

ويفترض المستوى الصوابي من حيث الشكل معياراً لغوياً للصواب المطلق؛ إذ ينظر إليه باعتباره « مقياساً يفرضه المجتمع اللغوي الواحد، لذلك فهو غير قابل للتغيير لارتباطه بمسير التغيرات الاجتماعية»⁽⁴⁾ وذلك نظراً للارتباط الوثيق بين اللغة والمجتمع. وللمحافظة على المستوى الصوابي في الاستعمال اللغوي ينبغي على متكلم اللغة أو اللهجة الانتباه إلى ثلاثة أمور هي⁽⁵⁾: الملاحظة، والمشاركة والتجربة.

- فالملاحظة تسمح بكشف تفاصيل تلك اللغة أو اللهجة.

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويحي. ط: بلا.

بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963. ص 33.

(2) ينظر تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 61.

(3) المرجع نفسه. ص 65.

(4) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث. ص 29.

(5) ينظر تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 66.

- والمشاركة تتيح تعلم ما لم يستطع تعلمه بالملاحظة، وقد يكون ذلك بالتركرار.

- والتجربة المتكررة تعصمه من الخطأ.

إنّ الذي يحافظ على هذا المستوى، ويوحده ويقوم عليه هو المجتمع، إذ يُخضع

كل شخص للمستوى الصوابي، وكل لهجة من اللهجات لها مستواها الصوابي الذي

يرضى ببعض المفردات دون بعض⁽¹⁾، ويعد هذا المستوى معيارا لغويا يرغب إلى

الصواب وينأى عن الخطأ في الاستعمال اللغوي، وهو « مقياس اجتماعي يفرضه المجتمع

اللغوي على الأفراد، ويرجع الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال»⁽²⁾

تأثر النحو العربي بالمنطق -كما سبق وأشرنا- ويثبت هذا التأثير في اتجاه الدرس

اللغوي عند العرب إلى القول بالقياس والبرهان والعلل⁽³⁾، وقد يدفع هذا التأويل إلى

افتراض قواعد تكون مقياسا للكلام العربي، وأنّ هذه القواعد صالحة لكل نماذج هذا

الكلام، ويشير عدد من الدارسين المحدثين إلى أنّ هذا التأثير يظهر في تطبيق المقولات

على التفكير النحوي العام، إلى جانب ما تضمنته المسائل النحوية من أقيسة

وتعليقات.⁽⁴⁾

لقد صنع النحاة أمثلة تعليمية متنوعة، وكان هدفهم من وراء هذا توضيح القواعد

وتفصيلها، وكان سعيهم كبيرا لإيجاد تفاسير وتعليقات توافق الظواهر اللغوية مثل تغيير

أواخر الكلم⁽⁵⁾، وصرف النحاة جهودهم إلى الإعراب بعدما وضعوا المعايير التي يجب أن

يكون عليها الكلام، وكانت الظاهرة الإعرابية أهم سمة في اللغة العربية الفصيحة، حيث

صارت « مقياس صواب، حين بدأ النحويون ينظرون إلى اللغة لا من جهة واقعها ،

(1) ينظر تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 68.

(2) المرجع نفسه. ص 72.

(3) ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 26.

(4) ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص 17.

(5) ينظر حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج الحديثة. ص 129.

بل قياسا إلى ما وضعوه من نحو»⁽¹⁾

واتجه النحاة المعياريون إلى التمييز بين أجزاء المادة اللغوية، بين ما هو صالح للدراسة وما هو غير صالح، وما لا يصلح للدراسة ليس من كلام العرب، وقادهم هذا إلى وضع حدود مكانية وزمانية للمادة اللغوية، وكان تحديدهم لمصادر الاحتجاج من قرآن كريم وحديث شريف وما سموه لغة قريش وبعض القبائل مثلا لنقاء اللغة وفصاحتها⁽²⁾، فدرسوا هذه النماذج، ووضعوا على أساسها قواعد العربية، فما وافقها قُبل، وما لم يوافقها كان شاذا لا يقاس عليه.

كانت غاية النحويين التقليديين من اصطناع منهج معياري مبني على منطلق قياسي هي وضع العربية في قواعد غير قابلة للخطأ، واستهدفوا بهذه العملية الصواب المطلق حفاظا على لغتهم من التغيير.⁽³⁾

والحق أنّ هذا المنهج، في نظر أغلب العارفين بشؤون العربية يُعد غير صالح للدرس اللغوي العلمي، لأنّ « صلاحية الدراسة اللغوية تعتمد في ما تعتمد من أصول استقراء المادة اللغوية، ووضع القاعدة نتيجة لهذا الاستقراء»⁽⁴⁾

وقد تجلت مظاهر المنهج المعياري في أعمال القدامى في ما قدموه من « مظاهر مرتبطة بأصول اعتمادها النحاة و اللغويون في توجيه أفكارهم وجدلهم »⁽⁵⁾، وتتجلى هذه المظاهر في أخذ النحاة عن بعض القبائل واللهجات وترك قبائل ولهجات أخرى، وتقسيم الكلام إلى مطرد وشاذ، وترتيب الكلام ترتيبا معتمدا من خلال افتراضنا على أساس التوجيه الإعرابي، فتخرج عن معناها الدلالي وتخلط على أذهان السامعين، وهو ما يعرف

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ص 74.

(2) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص

(3) ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 28.

(4) المرجع نفسه. ص 28.

(5) المرجع نفسه. ص 30.

بالتقدير والافتراض، والضرورات الشعرية التي تخالف قواعد النحاة.⁽¹⁾

والواضح أنّ الدراسات العربية عندما اعتمدت على مثل هذا المنهج لم تكن غايتها أبدا خلق « أمشاج من الأفكار غير المتناسبة، يأتي بعضها من المنطق، وبعضها الآخر من الميتافيزيقيا، وبعض ثالث من الأساطير، ورابع من الدين، وهلم جر »⁽²⁾ لكن، هذا الخلط وقع من قبيل التوسع في الأفكار والتعبير، وإنه من الصواب ما أعاب النحاة على الدراسة المعيارية التي صاحبت اللغة في قرون خلت وهي إلى اليوم كذلك، وإنّ من اللغويين اليوم من يسعى لتخليص الدراسة اللغوية من هذه العدوى، « فأساس الشكوى هو تغلب المعيارية في منهج حقه أن يعتمد على الوصف أولا وأخيرا، وهذه المعيارية تتضح في طريقة التناول كما تتضح في طريقة التعبير »⁽³⁾، وذلك كون اللغة « موضوع من موضوعات الوصف كالتشريح، لا مجموعة من القواعد والمعايير »⁽⁴⁾ يسنها المجتمع كيفما شاء.

بيّن تمام حسان موقفه من المعيارية والوصفية، حينما ربط بين المعيارية وبين

أمور استعمالية، معترضا على ربطها بالمنهج، لأنها تعتمد على القياس والتعليل والمستوى الصوابي، وربط بين الوصفية وبين أمور منهجية كونها تعتمد على نماذج ورموز لغوية واستقراء وتقعيد⁽⁵⁾، وشتان بين هذا وذاك، « فالمعيار أداة التعليم، والوصف أداة البحث ».⁽⁶⁾

ويبدو أن الوصفية و المعيارية خطّان يوازي كل منهما الآخر ويقابله ؛ إذ أنّ

(1) ينظر علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 31.

(2) مقدمة تمام حسان، مناهج البحث في اللغة.

(3) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية. ص 12.

(4) المرجع نفسه. ص 24.

(5) المرجع نفسه. ص 13.

(6) المرجع نفسه. ص 4.

« أية معايير لا تتبني على وصف صحيح تكون خطأ أو تكون على الأقل، عرضة لذلك على نحو كبير، كما أن الوصف الذي لا ينتهي بمعايير يبقى الظاهرة بلا دراسة حقيقية»⁽¹⁾، وسيظل الجدل قائماً في هذه القضية كل ما قامت دراسة جديدة، ويحتاج تأكيد معيارية الدراسات العربية أو وصفيتها إلى التوجه بالبحث في صلب المنهج والعدول عن البحث في الجزئيات، يقول تمام حسان: « فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة، من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل»⁽²⁾

والواقع أن الدراسات العربية بدأت وصفية في كثير من فصولها، حيث قامت «على استقراء المادة اللغوية من مصادرها الأصلية "السماع- المشاهدة" ثم استنبطت منها القواعد الكلية والجزئية، أي جعلت القاعدة خاضعة للاستقراء»⁽³⁾، ثم نزلت بعد ذلك في الفترات المتأخرة من الدراسة إلى المعيارية وتوقف استقراء المادة اللغوية « فانقلب الميزان من الوصف إلى المعيار، من إخضاع القاعدة إلى إخضاع المادة اللغوية، من استمرارية الاستقراء والأخذ إلى التوقف عنهما»⁽⁴⁾.

والفرق بين الدراستين يتضح أكثر عند بيان الفرق بين القاعدة والتقييد؛ لأن كلاهما قطع شوطاً كبيراً في الدراسة اللغوية العربية؛ « فالتقييد هو وسيلة إنتاج القاعدة ومنهج دراستها وتفسيرها، وهو بهذا المعنى الجزء المتغير من النحو، أما القاعدة فهي ثابتة، إذ تستند إلى وصف الواقع الثابت من الاستعمال اللغوي الصحيح الذي ارتضاه العرب وعلماء الأمة العربية في عصر الاستقراء والاحتجاج»⁽⁵⁾

(1) محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي. ط: 1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2006. ص 63.

(2) مقدمة اللغة بين المعيارية والوصفية.

(3) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ص 16.

(4) المرجع نفسه. ص 16.

(5) حسن حسين الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي. ط: 1. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002. ص 14.

خلاصة الفصل الأول

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى النتائج الآتية:

اتجهت الدراسات اللغوية في القرن العشرين صوب المنهج الوصفي، حيث أصبح مرتكزا لأي دراسة علمية، وهذا ما نادى به دي سوسير من خلال محاضراته في اللسانيات العامة التي أقر فيها أن الدراسة العلمية للغة ينبغي أن تركز على الوصف الذي يعتمد على اللغات المنطوقة واللهجات من دون أن يفرق بينهما في الدراسة، وينبغي على عالم اللغة الوصفي أن يصف الواقع اللغوي، وتكون ملاحظاته وفقا لذلك الواقع .

بدأت الدراسات اللغوية العربية تشق طريقها تدريجيا إلى حقل اللسانيات، وقد كانت اللسانيات الغربية تمثل مرجعا أساسيا لأفكار اللغويين العرب، وذلك بما وصلت إليه من نتائج في العلم اللغوي الحديث، حيث سعى علماء العربية إلى رصد الحركة اللسانية الغربية بقيمتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، وعلى الرغم من إقرار العلماء بهذا الأمر، إلا أنهم أكدوا مرارا على قيمة الدراسات اللغوية العربية القديمة، التي قدمت مرتكزا نظريا بنى عليه كثير من العلماء فكرهم.

حاول عدد من علماء العربية تطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية، واتبعوا في ذلك نظريات المدارس التي أعقبت ظهور هذا المنهج، منتقدين النزعة المعيارية التي صاحبت الدراسات اللغوية العربية بعد القرن الرابع هجري، وقد أكدوا على ضرورة تبني الطريقة الوصفية في البحوث العربية.

الفصل الثاني:

قضايا الوصفية عند تمام حسان

المبحث الأول: الشكل والمعنى.

المبحث الثاني: النظام الصرفي وتقسيم الكلام.

المبحث الثالث: تضافر القرائن والتعليق.

المبحث الأول: الشكل و المعنى

كان اللغويون العرب المحدثون و اعين بوجود دراسة اللغة العربية من منظور وصفي، فأصبحت محاولة إعادة وصف اللغة العربية أمراً لا بد منه لتخليص النحو العربي من قيود التقليد، وقد تزعم هذا التيار شيخ اللغويين العرب "تمام حسان"، الذي طالما يدعو إلى ضرورة قراءة العربية من وجهة مغايرة، وخاصة من خلال كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، الذي اعتبر «أجراً محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية بعد سيبوب هوعبد القاهر»⁽¹⁾

لقد شغل هذا الكتاب تفكير الدارسين العرب لما جاء فيه من نقد لنظريات قديمة نعتت بالمعيارية، حيث استطاع مؤلفه تجاوز ذلك إلى اقتراح نموذج جديد للغة العربية، يقول سعد مص لوج واصرفا هذا الكتاب: « ويقف في الصدارة من هذه المحاولات كتاب أستاذنا تمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها"... إذ هو جهد بصير ي بلين في جوهه جميع ما سبقه من جهود، ويجمعه بهذه الجهود أنه لا يزال يمثلها واقعا في حيز نحو الجملة، بيد أنه مؤهل -ولاسيما بنظريته في القرائن النحوية والتعليق- لأن يكون منطلقا رصينا موقفا لارتياح آفاق جديدة يكون فيها النحو قطب الطرق التحليلية في دراسة النص»⁽²⁾، ويتبين لنا من خلال هذا القول أن الكاتب يرى في تمام حسان مُنظراً نحويا يمهد لآفاق جديدة تنمو بالدرس اللغوي في العصر الحديث.

استطاع تمام حسان أن يخلق قاعدة منهجية حركت مدار البحث اللغوي العربي

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 10.

(2) سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات ومثاقفات. ط: 1. القاهرة: عالم الكتب، 2004. ص 204.

وطورت منهجه، يقول محمود أحمد نحلة مؤكداً ذلك: « لا أعرف باحثاً استطاع أن يطور منهجاً جديداً من التراث النحوي والبلاغي ، معتمداً على منهج من مناهج الدرس اللغوي الحديث، غير الدكتور تمام حسان في كتابه الذي أصدره سنة 1973م، وهو "اللغة العربية معناها ومبناها"»⁽¹⁾، وقد مثلت آراء تمام حسان وأفكاره اللسانية محور اللقاء بين الدرس اللغوي العربي القديم والفكر الغربي الحديث.

ويجمع عدد من الدارسين أنّ هذا الكتاب يعدُّ « أول محاولة في مجال تعميق هذه النظرية اللغوية والتمهيد لتطبيقها على اللغة العربية »⁽²⁾، وبذلك بدأت اللغة العربية عهداً جديداً من الدراسة مع هذا الكتاب .

يشير تمام حسان في مقدمة كتابه إلى قضية أهملتها الدراسات اللغوية القديمة ولم تخصص لها جانباً من الدراسة على الرغم من أهميتها في العربية ، وهي قضية المعنى وارتباطه بالشكل، إذ إنّ الدراسة اللغوية لا بد لها من الالتفات إلى هذا النوع، بحيث تكون الدراسة وفق كل مستويات اللغة، يقول تمام حسان: « لا بد أن يكون المعنى هو الموضوع الأخص لهذا الكتاب ؛ لأن كل دراسة لغوية - لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم - لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى. وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة »⁽³⁾، والملاحظ لهذا القول، يرى أن الكاتب أعطى اهتماماً كبيراً للمعنى انطلاقاً من المنهج الوصفي، وليس استناداً إلى ما صدر عن القدماء⁽⁴⁾، فهو بذلك يركز على الارتباط الوثيق الذي يجمع بين الشكل والوظيفة، معتبراً أن اللغة لا

(1) محمود احمد نحلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية . ط بلا . بيروت دار النهضة العربية، 1988، ص 274

(2) عبد المقصود محمد عبد المقصود ، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية . ط 1 ، بيروت الدار العربية للموسوعات ، 2006 ، ص80 .

(3) اللغة العربية معناها و مبناها . ص 9

(4) ينظر حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة . ص 45 .

تكتمل إلا بهما، ويظهر هذا من خلال تفسيره لظواهر الشذوذ في التراكيب اللغوي استنادا إلى الواقع، وإلى ارتباطها بالمعنى وفق مستويات مختلفة.

يظهر المنهج الوصفي فيما قدّمه تمام حسان في كتابه مناهج البحث في اللغة عندما انتقد تعريف أرسطو للاسم بأنه لا يوصف بالصدق والكذب إلا إذا أسند، حيث يرى الكاتب أن الدراسة الوصفية لا تبحث عمّا يفيد للكلام، وإنما يعينها تحليل العبارة تحليلا لغويا، قائم على الملاحظة المباشرة والوصف، إذا يقول: « وواضح أن الصدق والكذب ليس من الدراسات اللغوية؛ وإنما هو من الدراسات المنطقية، فالنحوي يحلل العبارة الكاذبة كما يحلل العبارة الصادقة، ولا يهتم منها إلا التحليل اللغوي»⁽¹⁾

ويوضح المؤلف أنّ مهمة النحوي من الدراسة ليست سوى تسجيل ما هو ملاحظ، وبدعم هذا الرأي في كتابه "اللغة بين المعيارية و الوصفية" حينما فرّق تفريقا واضحا بين موقف الباحث من اللغة وموقف المتكلم، إذ يقول: « لم يغب لحظة من خاطري ما بين المتكلم والباحث من فروق، فالمتكلم صاحب عادات نطقية معينة يحددها الصرف، والباحث صاحب منهج معين تحدده عوامل تنصل بطبيعة المادة المدروسة»⁽²⁾، وقد عدّد في هذه المحطة صفات كثيرة ينماز بها الباحث عن المتكلم موضحا أنّ الباحث شأنه من اللغة شأن المراقب الواصف لقوانينها وأصولها، لذلك فهو لا يهتم إلا بما هو موجود أمامه، ويوضح هذا بقوله⁽³⁾: « ولا يهتم النحوي من قول الشاعر:

يزيد جمال وجهك كل يوم.

إن كانت هذه الشطرة صادقة أم كاذبة، وإنما يعنيه منها أن يحللها تحليلا لغويا لا أكثر ولا أقل»، وبهذا، كان تمام حسان يوحى بتطبيق منهج جديد لدراسة العربية وفقا للتفكير اللغوي الحديث .

(1) تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة. ص 15 .

(2) تمام حسان ، اللغة بين المعيارية و الوصفية . ص 12

(3) تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة . ص 15

وانتقد تمام حسان محاولة قدامى الغويين في تقسيم الكلام ومحاولة إعرابه واعتبرها خارج أطر المنهج الوصفي، ذلك لأنها لا تمس معنى الجملة، وعاب اتجاههم للبحث والتحليل عن الجزئيات والتفاصيل، و لاحظ أن عملهم يشمل شيء من النقص كونهم اعتمدوا في هذا التقسيم على بيان علامات كل قسم، وكشف المعرب والمبني من هذه الأقسام، وتبيين الأبواب النحوية في داخل الجملة والعلامات التي يعرف بها لكل بلب، إضافة إلى أنهم بينوا المعاني الوظيفية التي تؤديها العنا صر اللغوية كالتذكير والتأنيث والتعريف والتكثير والإفراد والتنثية والجمع والتكلم والحضور والغيبة، وكالصرف وعدمه والعلامة الإعرابية⁽¹⁾، حيث علّق تمام حسان على هذا التوسيم بقوله: « هذا الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومها لا من الناحية الوظيفية العامة كالإثبات والنفي والشرط والتأكيد والاستفهام والتمني... الخ ، ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تتبني على اعتبار المقام في تحديد المعنى، وإن كانت تمس ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة بروابط مبنوية أو معنوية ذكرها فرادى ولم يعنوا بجمعها في نظام كامل»⁽²⁾

ويظهر أنّ الطرح الذي قدّمه المؤلف يرمي إلى وجوب الاعتماد على المعنى والمبنى معا في سبيل الوصول إلى نتائج سليمة، فالاعتماد على اعتبار واحد ليس كافيا للتمييز بين أقسام الكلم.

فالمعنى بمفهومه الجديد عند تمام حسان ليس واحدا بل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

« أحدهما المعنى الوظيفي وهو وظيفة الجزء التحليلي في النظم أو في السياق على حد سواء، والثاني المعنى المعجمي للكلمة، وكلاهما معتمد ومتعدد خارج السياق، وواحد فقط في السياق، والثالث المعنى الاجتماعي، أو معنى المقام.»⁽³⁾ لذلك، فقد أقام تمام حسان

(1) ينظر تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها . ص 16 .

(2) المرجع نفسه . ص 16

(3) المرجع نفسه . ص 41-42 .

نظريته في هذا الكتاب على مفهوم المعنى، وقسمه إلى ثلاثة معان فرعية، أحدهما المعنى الوظيفي، والثاني المعنى الم عجمي والثالث المعنى الاجتماعي .

وواضح أن تمام حسان ذهب إلى مثل ما ذهب إليه أصحاب المدرس ة اللغوية السياقية ابتداءً بمالينوفسكي وانتهاءً بفيوث، حيث قدّم لعلاقة المعنى بالمبنى من منظور وظيفي، واعتبر أن المعنى في حقيقته هو وظيفة المبني.⁽¹⁾

وطرح الكاتب فكرته انطلاقاً من نقد الدراسات اللغوية القديمة التي كانت معنية بالمبنى أكثر من عنايتها بالمعنى، وأن دراسة المعنى جاءت لاحقة للنحو العرب مع النقد الذي وجهه عبد القادر الجرجاني للنحاة العرب الذين أهملوا المعنى.

فعبد القاهر يرى أن مدار الأمر كله هو توخي معاني النحو لذلك يجعل تمام حسان مشروعه في هذا الكتاب امتداداً لمشروع عبد القاهر.⁽²⁾

(1) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث . ص 54 .

(2) المرجع نفسه . ص 53 .

المبحث الثاني: النظام الصرفي وتقسيم الكلم

يشمل مجال علم ال صرف موضوعات عديدة مثل أبنية الأفعال والأسماء والمشتقات ويكون بحثه ضمن الوحدات الصرفية ، المسماة المورفيمات،دون أن يتناول مسائل التركيب النحوي⁽¹⁾ .

خصص تمام حسان للنظام الصرفي في العربية مبحثا مطولا ، بدأه بالكلام على الأسس التي يتألف منها هذا النظام وجمعها في ثلاث دعائم تقمّت في ما يلي:⁽²⁾

1- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

2- طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة وبعضها ل واصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أدوات.

3- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجوه الارتباط بين المباني، وطائفة أخرى من القيم الخلفية أو المقابلات وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني، فهذه الدعائم هي التي يركز عليها النظام الصرفي، وهي التي تجعلنا نفرق بين ا لوحدة الصرفية وبين أخرى، ويقدم لنا تمام حسان شرحا لهذه المباني وكيف أنها تدل على معانٍ صرفية وظيفية، موضحا الفرق بين هذه المباني وبين المباني ال صرفية؛ إذ تعتبر الأولى أساس النظام الصرفي "أي مباني التقسيم"، في حين أن مباني التصريف هي «المسؤولة عن التفريع الذي يتم داخل المباني التقسيمية، كأن ت نظر إلى الأنواع المختلفة لتصريفات الاسم والإسنادات الفعل ولفصل الضمائر ووصلها وذكرها»⁽³⁾.

(1) ينظر عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية.ص93.

(2) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها. ص 83.

(3) المرجع نفسه. ص 83.

أقسام الكلم ومبدأ الوصفية عند تمام حسان:

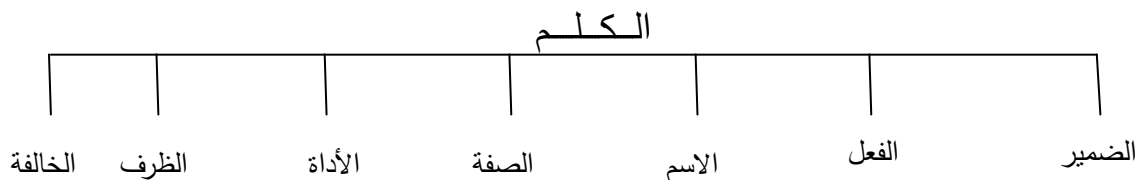
خصص تمام حسان مبحثاً خاصاً في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" مبيناً من خلاله وجهة نظره في التقسيم القديم، ومقترحاً تقسيماً جديداً، فبدأ بمناقشة التقسيم الثلاثي للكلم "اسم وفعل وحرف"، ورأى أنّ هذا التقسيم فرق فيه النحاة الكلم على أساس المبنى فقط، بينما أقام فريق آخر تقسيمهم للكلم على أساس المعنى فقط، ويتضح الأساس الأول من التقسيم في قول ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاسمٍم واسم وفعل ثم حرف الكلم.

ونجد الأساس الثاني من التقسيم يظهر في شرح ابن عقيل للشطر الثاني من البيت قائلاً: « والكلم اسم جنس واحده كلمة، وهي إما اسم وإما فعل، وإما حرف، لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم، وإن اقترنت بزمان فهي الفعل وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف »⁽¹⁾، ورأى تمام حسان أن هذا التقسيم الذي كان انطلاقاً من المبنى فقط أو المعنى فقط يحتاج إلى نوع من التعديل، فالأصح في رأيه هو أن يكون التقسيم باعتبار الأساسين معا "المبنى والمعنى".

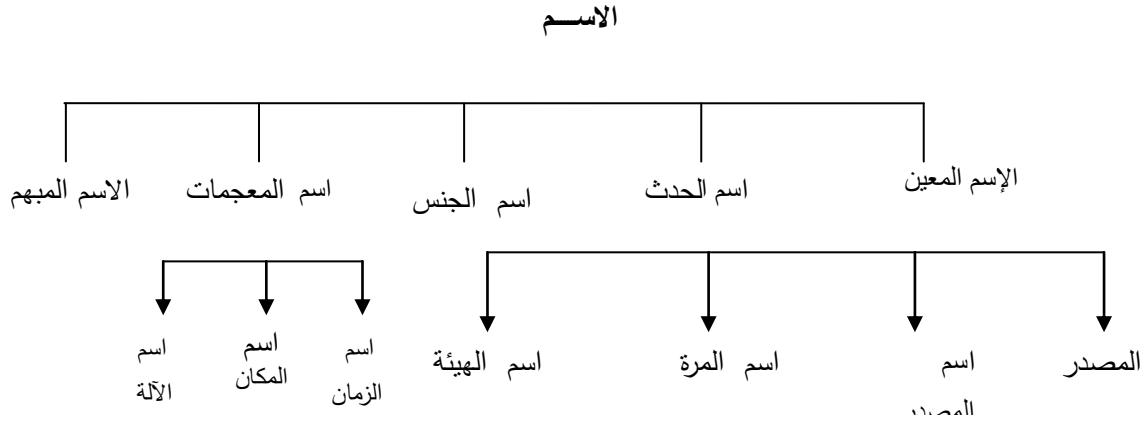
قسّم تمام حسان الكلم إلى سبعة أقسام، وهذا بعدما كانت أربعة في كتابه "مناهج البحث في اللغة" وهو الكتاب السابق لكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها".

وهذا الشكل يوضح ذلك التقسيم:



(1) محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ط: بلا. القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع،

1- الاسم: ينظر تمام حسان إلى الاسم نظرة تختلف عن نظرة القدامى ، وهي نظرة تقييمية باعتبار ما يدل عليه الاسم من معنى دلالي أو معجمي أو وظيفي ، فجاء تقسيمه للاسم وفق هذا المخطط:⁽¹⁾



ولا تدخل الصفات ولا أسماء الأفعال ولا أسماء الإشارة ولا الموصولات ضمن هذه الأسماء، ولا الظروف لأنها تنتمي إلى أقسام أخرى للكلم.

2- الصفة : ما قصده تمام حسن بمصطلح الصفة هو الصفات الخمس صفة

الفاعل، المفعول، صفة المبالغة، الصفة المشبهة، صفة التفضيل، صفة الفاعل هي الوصف الدال على الفاعل الجاري على حركات المضارع وسكناته، كضارب ومكرم، ولا يخلوا، إما أن يكون بأل أو مجردا منها، وهي تختلف عن صفة المفعول ، سواء من حيث الصيغة التي جاءت عليها أم من وصفها الدال، وكذا الشأن بالنسبة لصفة المبالغة.

3- الفعل : وقد بدأ بإعطاء تعريف النحاة للفعل بأنه ما دل على حدث وزمن

ليبين أن دلالاته على الحدث تأتي عن اشتراكه مع مصدره في مادة واحدة « فالمصدر هو اسم الحدث فما شاركه في مادة اشتقاقه كالفعل والصفة والميمات لابد أن يكون على صلة

(1) اللغة العربية معناها ومبناها.ص91.

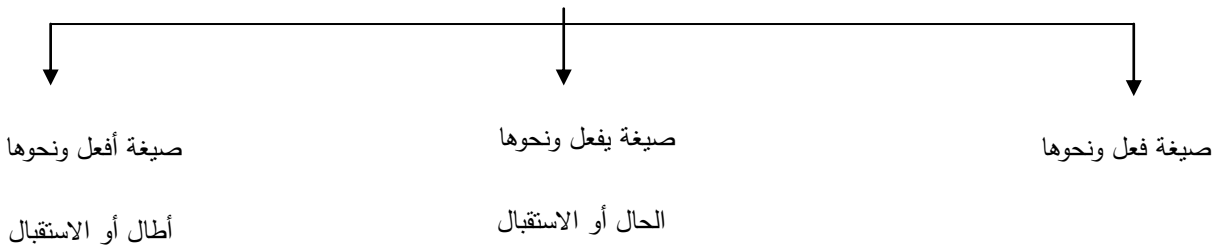
من نوع ما بمعنى الحدث كالدلالة على اق بتان الحدث بالزمان أو على موصوفا بالحدث أو على مكان الحدث أو زمانه أو آله»⁽¹⁾.

فقد ركز تمام حسان على "المعنى" في علاقة الفعل مع المصدر، و لأن مادة الاشتقاق واحدة، فلا بد أن يكون بين الفعل والمصدر "معنى في الحدث"، ليتحدث على "مقولة الزمن" في الفعل التي فيها فرق بين الزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة مفردة خارج السياق، وبين الزمن النحوي الذي يستفاد من الصيغة داخل السياق، من حيث أن الزمن النحوي هو «وظيفة في السياق، يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من أقسام الكلم الأخرى كالمصادر والخوالف»⁽²⁾.

فالفعل الذي على صيغة فعل، -يقول تمام حسان - قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل على الماضي، وينتقد النحاة في قولهم أن "الزمن جزء منه" فيقول: «قول مقبول على مستوى الصرف فقط»⁽³⁾.

و قسم تمام حسان الفعل من حيث مبناه الصرف إلى ماضي ومضارع وأمر، وبين أنها تختلف من حيث المبنى، كما أنها تختلف من حيث المعنى الصرفي الزمني، لأن لكل صيغته الخاصة فقد يكون الفعل مجردا أو مزيدا (الثلاثي، الرباعي) ولكل فعل سماته من حيث الزمن على الشكل الآتي:⁽⁴⁾

زمن الفعل



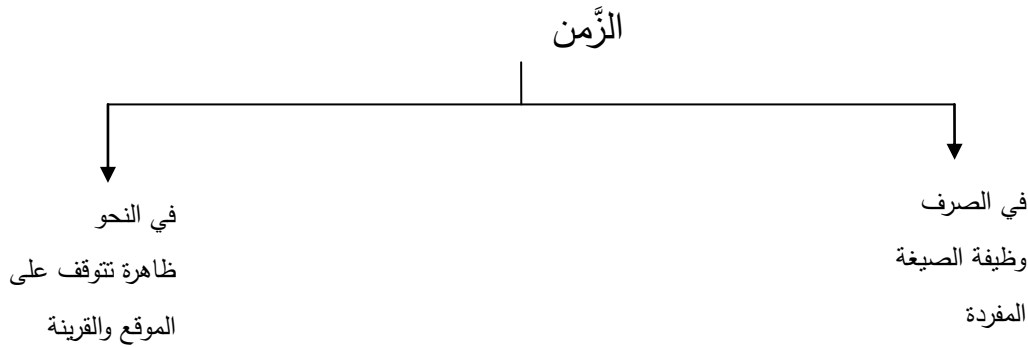
(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 104.

(2) المرجع نفسه. ص 240.

(3) المرجع نفسه. ص 104.

(4) المرجع نفسه. ص 105.

وهكذا يبين لنا تمام حسان النظام الزمني الصرفي في اللغة العربية الفصحى، أي الزمن الصرفي للفعل، حيث تتخلص "فعل" للماضي، وتتخلص "يفعل وافعل" للدلالة على الحال أو الاستقبال، ويبين لنا أن الزمان السياقي التركيبي لا يتحدد إلا بقريته في السياق، سواء أكانت لفظية أم معنوية أم موقعية، فالزمن السياقي جزء من الظواهر الموقعية السياقية، والشكل الذي قدمه تمام حسان يبين ذلك: (1)



ويشير عدد من الدارسين إلى أن تمام حسان يُعدُّ أول من فرّق بين الزمن الصرفي والزمن النحوي (2)، وبين أن الزمن الحقيقي للصيغة لا يمكن الوصول إليه من خلال شكل الصيغة حتى تتموقع في سياق معين يتحدد معه الزمن المراد.

ويمكن أن نضرب مثالا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرٌ آلَهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (3) فالفعل "أتى" في الآية الكريمة صيغته "فعل" التي هي الماضي، إلا أن سياق الآية وبما توفر من قرائن خلّصت الفعل للاستقبال، بدليل عطف الفعل "أتى" على الفعل المضارع "فلا تستعجلوه"، أي بمعنى "سيأتي"، ولمّا كان أمر الله آتيا لا محال عبّر عنه بالماضي، لأنه في حكم الواقع فعلا. فالسياق هو الذي حدّد لها هذا الزمن بملاحظة وظائف الكلمات داخله.

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 105.

(2) كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية. ط: بلا. عمان: عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2008. ص 55.

(3) النحل/ الآية 1.

4- الضمير: ويفرد له تمام حسان قسما خاصا، حيث يرى أنه لا يدل على مسمى ولا على موصوف ، ودلالته تتجه إلى المعاني الصرفية ، والضمير من حيث المبنى ليست له أصول اشتقاقية كالأسماء ، فهو لا ينسب إلى أصول ثلاث.(1)

وقسم الضمائر إلى ضمائر حضور ، وهي ضمائر التكلم والخطاب والإشارة ، وضمائر غيبة وهي ضمائر شخصية موصولية.(2)

5- الخوالف: وهي الكلمات التي تستعمل في أساليب إفصاحية، وهي قسم مستقل من أقسام الكلم كما يرى تمام حسان ، وهذه الخوالف أربعة أنواع هي:(3)

أ.خالفة الإخالة وهو ما يسميه النحاة اسم الفعل .

ب.خالفة الصوت وهو ما يسميه النحاة اسم الصوت .

ج. خالفة التعجب وهو ما يسميه النحاة صيغ التعجب .

د. خالفة المدح وهو ما يسميه النحاة فعلي المدح والذم .

ويرى أن القسم المشترك هذه الخوالف طبيعتها الإفصاحية.

6.الظرف: ويرى تمام حسان « أن الظروف مبان تقع في نطاق المبنيات غير المتصرفة ، فتنصل بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات »(4)، والظروف الأصلية عدّها حسان وهي: ظروف الزمان إذ، إذا، إذّا، لمّا، أيان، متى، وظروف المكان وهي : أين، أنّى، حيث، أمّا باقي الظروف فهي منقولة إلى الظرفية فقط.

7- الأداة: اعتبرها تمام حسان «مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق، والعلاقة التي

(1) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها . ص 108.

(2) المرجع نفسه. ص109.

(3) المرجع نفسه . ص 113.

(4) المرجع نفسه. ص119.

تعتبر عنها الأداة إنما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة»⁽¹⁾ وقسمها الى أصلية وهي حروف المعاني كحروف الجر والعطف، وغير أصلية التي تستعمل استعمالاً أخرى.

ووضح تمام حسان أن سمات ومميزات تفرق بين هذه الأقسام ومن أهم هذه السمات "الصورة الإعرابية والصيغة، والجدول، والتضام، والدلالة والتعليق"، فهذه السمات هي التي تحدد التباين بين أقسام الكلم، فالاسم مثلاً يقبل الجر ولا يشاركه الأقسام الأخرى إلا الصفات، والفعل مثلاً ينفرد بالجزم -المضارع منه- ولا يشاركه قسم آخر.

إن هذه السمات منها ما يتعلق بالهبنى ومنها ما يتعلق بالمعنى، والسمات التي تتعلق بالمبنى بينها ابن مالك في قوله في ألفيته

بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالتَّنَادِ وَأَلْ
وَمُسْتَدِّ لِلْاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ
بِهِ فَعَلَتْ وَأَتَتْ ، وَبِأَفْعَلِي
وَنون أَقْبَلِنِ فِعْلٌ يَنْجَلِي

وهذه الفروقات تميز بين الإسم والفعل كما هو واضح من البيتين تم يميز من حيث المبنى فقط، ولكن الوضع الذي ارتآه تمام حسان تجاوز ذلك، فأدخل في تقسيمه للكلم سمات تميز بين أقسام الكلم من حيث المعنى وهذا كالتعليق مثلاً، حيث يقول: « وسنحاول فيما يلي أن نفرق بين كل واحد من هذه الأقسام وبين الأقسام الأخرى من حيث المبنى (أي من حيث الصورة الإعرابية أو الرتبة أو ال صفة أو الجدول أو الإلصاق أو التضام أو الرسم الإملائي) ومن حيث المعنى (أي من حيث التسمية أو الحدث أو الزمن أو التعليق أو المعنى الجملي)»⁽²⁾

(1) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 123.

(2) المرجع نفسه. ص 90.

المبحث الثالث: تضافر القرائن والتعليق

يتفق اللغويون والبلاغيون والمفسرون في تعريفهم للقرينة بأنها كل ما يدل على المراد؛ أي هي: «الدلالة التي تُمَحِّضُ المدلول وتصرفه إلى المراد وتمنع غيره من الدخول فيه»⁽¹⁾، فالقرائن بهذا المعنى نوعان: قاطعة وغير قاطعة، والقاطعة هي التي تحتاج إلى ما يعين للوصول إلى الدلالة المرادة أي هي "المُمَحِّضَة"، أما غير القاطعة فهي التي تحتاج إلى تضافرها معاً للوصول إلى الدلالة المرادة، ومن هذا المفهوم استقى تمام حسان هذا المبدأ، ونظر إليه بوصفه البديل الذي يغني عن العوامل.

والوصول إلى المعنى يكون وفق عدة قرائن تشارك فيها الأنظمة اللغوية ككل "النظام الصوتي، النظام الصرفي و النظام النحوي"، فمهما قويت القرينة لا يمكنها لوحدها أن تقودنا للمعنى النحوي⁽²⁾، ومن ثم ركز تمام حسان على فكرة التضافر لتكتمل عنده نظرية حلت محل نظرية العوامل التي كثر الجدل حولها.

وبهذا المفهوم، عدت القرينة عاملاً مساعداً على جلب المعنى والوصول إليه.

و قسم تمام حسان القرائن أقساماً ثلاثة هي القرائن المادية والقرائن العقلية وقرائن التعليق⁽³⁾، التي هي أهم قرينة ارتكز عليها الوصف الذي قدمه تمام حسان لمفهوم مبدأ "تضافر القرائن".

جاءت فكرة تضافر القرائن لتوضح المعنى الواحد المتمثل أساساً في تفكيك الإنسان وبيان علاقات الكلمات فيه كمهمة من مهمات الإعراب كما هو معروف في

(1) محمد سمير نجيب البلدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ط:1، بيروت، عمان: مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، 1985. ص 185-186.

(2) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 192.

(3) المرجع نفسه. ص 190.

النحو العربي⁽¹⁾ وبهذا المفهوم، تتعدى القرائن مجرد الاهتمام بالعامل ومدى أثره في تحديد العلامات الإعرابية لمباني مكونات الإسناد ، إلى التعامل مع مجموعة من المعطيات الأخرى بما فيها القرائن المعنوية والقرائن اللفظية.⁽²⁾

ويؤكد تمام حسان على الصلة الوثيقة بين الإعراب والمعنى الوظيفي، حيث يعتمد الإعراب على دور التحليل اللغوي ، أو ما أسماه بالمعنى الوظيفي⁽³⁾ ، واصفا إياه بأنه « يحدد الفهم صوتيا من حيث إن الحرف مقابل استبدالي، وصرافيا من حيث إن المبني إطار شكلي يتحقق بالعلامة ، ونحويا من حيث إن العلاقة السياقية تكشف لنا عن ترابط المباني التي تحققت بالعلامات في سياق النص»⁽⁴⁾

ويشدد تمام حسان على ضرورة النظر إلى المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي للجملة، إذ لا يمكننا بحال من الأحوال الاكتفاء بالعلامة الإعرابية أو الالتفات إلى أحدهما من دون الآخر، ويعطي مثلا على ذلك جملة صحيحة نحويا وتركيبيا وتحمل معنى وظيفيا، أي كل الكلمات تؤدي وظيفة في هذا النص، ولكن تجاهل الاعتبارات المعجمية يؤدي إلى انحراف النسق النطقي عن الجملة العربية بالرغم من أننا نستطيع إعراب النص.⁽⁵⁾

أقام تمام حسان منهجه على فكرة التعليق أو العلاقات السياقية، و هي الفكرة المركزية في النحو العربي، وقد استلهمها من الجرجاني⁽⁶⁾، حيث قسم القرائن

(1) ينظر خالد عبد الكريم بسندي، " نظرية القرائن في التحليل اللغوي " . مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب.

المجلد 4 ، العدد 2، 2007. ص 4.

(2) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 185.

(3) المرجع نفسه. ص 182.

(4) المرجع نفسه. ص 184.

(5) المرجع نفسه. ص 183.

(6) المرجع نفسه ، ص 189.

"قرائن التعليق" إلى (1):

قرائن **حالية**: وهي التي تعرف من المقام، والمقام هو من يحدد الزمن "السياق الخارجي".
 قرائن **مقالية**: وهي ما يعرف بالسياق اللغوي أو الداخلي، وتكون في المقال، متأثراً بذلك
 بنظرية السياق عند فيرث، التي عالج فيها جميع الفروق اللغوية لتحديد المعنى، وحاول
 من خلالها إثبات صدق المقولة بأن المعنى وظيفته السياق، واستطاع تمام حسان أن
 يربط هذه النظرية "نظرية السياق" عند فيرث والتعليق النحوي عند عبد القاهر الجرجاني
 فيما يسمى بسياق الحال والسياق اللغوي (المقال)، وانتهى هذا التأثير عنده بالمنهج
 الوصفي الوظيفي الذي تبناه، وبنى عليه فكرة القرائن بعد قراءته عبد القاهر الجرجاني
 وفكرة التعليق النحوي عنده. (2)

وتنقسم القرائن المقالية بدورها إلى (3):

- **معنوية**: تدرك بالذهن كالإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة.

- **لفظية**: تظهر على السطح، كالعلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والمطابقة والربط
 والنظام والأداة والتنغيم.

ويرى تمام حسان أن التعليق «هو إنشاء العلاقات المعاني النحوية بواسطة ما
 دعاه القرائن اللفظية والحالية» (4)، وهي الفكرة التي استخلصها مما وجده عند
 الجرجاني (ت471هـ) كما أشرنا سابقاً، فالتعليق بذلك، هو المُحرر لمعاني الأبواب النحوية
 في السياق، وهو الإطار الضروري للتحليل النحوي (الإعراب)، وهكذا، نجد أن تمام
 حسان تطرق بالتفصيل لفكرة التعليق النحوي من خلال القرائن المقالية (اللفظية والمعنوية)

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 190.

(2) ينظر خالد بن عبد الكريم البسندي، "نظرية القرائن في التحليل اللغوي". ص 6

(3) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 190.

(4) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات. ط:3. دمشق: دار الفكر، 2008. ص 283.

والقارئ الحالية، مستمداً تلك القرائن من مصادر خمس هي النظام الصوتي والنظام النحوي ودلالة السياق والدلالة الحالية، وهي ما قام بدراسته في فصول كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها".

حاول تمام حسان بناء على هذه الفكرة تغيير العلاقات النحوية التي تعتمد على القرائن المعنوية واللفظية لتوضيح المبنى النحوي، وأكد أن «فهم التعليق على وجهه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يُحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية»⁽¹⁾.

وبهذا، فإن التعليق يرتبط بالقرائن المقالية والحالية، وما تتيحه لتجلية المعنى، فالقرائن الحالية هي التي تخص المقام وعناصره الاجتماعية والثقافية، والقرائن المقالية تفهم من السياق اللغوي، وقسمها تمام إلى:⁽²⁾

1- قرائن معنوية: وهي معاني النحو أو العلاقات السياقية، وفي مقدمتها:

أ- الإسناد: وهو العلاقة التي تربط بين طرفين في الجملة مثل "المبتدأ والخبر" أو "الفعل والفاعل/نائب الفاعل"، وهذه العلاقة تصبح عند فهمها قرينة على أن هذا مبتدأ وذلك خبر، أو أن هذا فاعل وذلك مفعول، وهذا ما لا يوجد في اللغات الأوروبية، إذ إن هذه اللغات تستخدم "الأفعال المساعدة" (كان...) التي هي نوع من القرائن اللفظية، فهذه الأفعال تحمل معنى الإسناد والزمان، لهذا فجمال هذه اللغات تخلو من الزمن عند وصفها، والإسناد كما يرى تمام حسان قرينة معنوية لا تخلو من فهم الزمن عند وصفها،

(1) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 189.

(2) ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات. ص 283.

والإسناد كما يرى تمام حسان قرينة معنوية لا تعين لوحدها على فهم المعنى، بل تحتاج إلى قرائ لفظية تعينها على تحديد نوعها.⁽¹⁾

ب- التخصيص: « هو قرينة معنوية، تضم مجموعة من المعاني التي تقيد الإسناد بجهة خاصة » وهذه القرينة تتعدد إلى تسعة أنواع نذكر منها ⁽²⁾: التعدية والغائية والظرفية والإخراج.

- **التعدية:** قرينة معنوية صغرى تقيد الإسناد ، وتعبر عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث⁽³⁾، فقولنا مثلاً: "ضرب زيد" هنا الإسناد مطلق غير مقيد ، لكن قولنا "ضرب زيد عمراً" فالمفعول به "عمراً" قيدٌ للإسناد بين الفعل والفاعل.

- **الغائية:** وتشمل المفعول لأجله الذي يخصص ويقيد الإسناد، فإسناد الفعل دون سبب أعم منه وهو مسبب⁽⁴⁾، ومثال ذلك "أتيتُ رغبةً في لقاطك".

- **الظرفية:** التي تخصص الإسناد بتقييده زماناً ومكاناً ⁽⁵⁾، ومثال ذلك "أتيت إذ تبدأ المحاضرة".

- **الإخراج:** وهو الاستثناء، الذي يدل على أنّ الإسناد لا يشمل المستثنى لأنه أُخرج منه⁽⁶⁾، مثل "جاء الطلاب إلا علياً"، لذلك فهو تقييد للإسناد وتخصيص له.

ج- النسبة: وهي من القرائن الكبرى، وتدخل تحتها معاني حروف الجر والإضافة.

د- التبعية: وفيها التوابع من نعت و عطف و توكيد و بدل ، وهي التي يفهم بها ارتباط

(1) ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات.ص284.

(2) المرجع نفسه. ص 285.

(3) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 194.

(4) ينظر أحمد قدور، مبادئ اللسانيات. ص 285.

(5) المرجع نفسه. ص 285.

(6) المرجع نفسه. ص 285.

التابع بالمتبوع.

هـ- المخالفة: وهي مظهر من مظاهر استخدام القيم الخلافية، فتكون قرينة معنوية على الإعرابات المختلفة، لذا فهي تدل على طائفة من المنصوبات كالمختص في أسلوب الإختصاص، والمتعجب منه والمصدر بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾⁽¹⁾، وهذه هي أبواب المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، التي لبست ثوبا جديدا يمكن أن يضي عليها بيانا، لأنه يعين على فهم العلاقة بين الإعراب والوظيفة، لهذا، فالمتصفح لكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" والتمتعن فيه، يجد نفسه أمام شيء جديد.⁽²⁾

2- قرائن لفظية: إن لهذه القرائن أثر مهم في التعرف على الأبواب النحوية حتى

إنها؛ تعد من قرائن فهم القرائن المعنوية، وتضم القرائن اللفظية:⁽³⁾

أ- العلامة الإعرابية: وهي قرينة لفظية مهمة؛ إذ يتوقف عليها المعنى أحيانا، وقد أولاهما النحاة القدامى أهمية خاصة، إذ كانت تعد عندهم هي الأصل والباقي فروع عليها.

ب- الرتبة : ويقصد بها تلك العلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما عن الآخر على معناه، فيعرف الباب النحوي بذلك، والرتبة قد تكون محفوظة أو غير محفوظة، ويرى تمام حسان، أن عدم وجود قرينة العلامة الإعرابية، يلزمها بالجنوح إلى قرينة الرتبة التي تأتي مع الأدوات والظروف خاصة ، والتي تصير صاحبة الأثر المهم في تمييز المعنى.

ج- مبنى الصيغة: البنية هي دلالة صورة الكلمة على المعنى النحوي، وهي إطار ذهني للكلمة المفردة، وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرد، فلها مفهوم صرفي لا ينطق، أما

(1) محمد / الآية 4.

(2) ينظر محمد صلاح الدين، " النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان للغة العربية معناها ومبناها". حوليات الجامعة التونسية، العدد17، 1979. ص 281.

(3) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 205.

هي فمفهوم معجمي منطوق، ويقدم تمام حسان مثالا يبين فيه الفرق بين هذه المفاهيم.⁽¹⁾

صيغة فاعل: بنية عامة لعدد من الكلمات ، وهي ذات معنى وظيفي صرفي .
كلمة "كاتب" هي كلمة منطوقة بالقوة لا بالفعل.

وتكون الصيغة قرينة لفظية على الباب الصرفي، فلأسماء صيغها، وللصفات والأفعال صيغها، ودلالاتها ذوات أثر نحوي⁽²⁾، ويتمثل في العلاقات السياقية التي تقوم فيما بينها، فمعنى الصيغة الصرفية ينبئ عن تلك العلاقات.

د- المطابقة: وهي تحصل بين أجزاء التركيب، فتكون الصلة بينه م ا وثيقة وتصبح الكلمات مترابطة، ولهذا تكون المطابقة قرينة على الباب الذي تقع فيه، والمطابقة يقصد بها المشاركة في أحد المعاني العامة، وتتأتى ب:⁽³⁾

1-العلامة الإعرابية: " وتكون للأسماء والصفات، ولل فعل المضارع"

2-الشخص: " وتكون لضمائر التكلم، الخطاب والغيبة"

3-العدد: " للإفراد والتثنية والجمع"

4-النوع: " التذكير والتأنيث"

5-التعيين: " التعريف والتكثير"

فوظيفة المطابقة هي الإعانة على إدراك العلاقات التي تربط بين العناصر المتطابقة كالتلازم بين المتطابقين ورتبتيهما الأصلية، والمطابقة قرينة لفظية تتضافر مع قرائن أخرى لإبراز المعنى المقصود من الكلام، فمن دونهما تتفكك العرى على حد تعبير تمام حسان.

(1) ينظر تمام حسان، البيان في روائع القرآن. ط:1. القاهرة: عالم الكتب، 1993. ص 17.

(2) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 209.

(3) المرجع نفسه. ص 211-212.

هـ-الربط: وه ي من القرائن اللفظية التي تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر، والمعروف أنّ الربط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته، وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المبتدأ وخبره، وبين المنعوت ونعته، وبين القسم وجوابه، وبين الشرط وجوابه.(1)

و يتم الربط بالضمير العائد، ويشتم ل ضمائر الأشخاص "أنا، أنت، هو وفروعها " مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (2)، وضمائر إشارة " ذا، ذي... وفروعها"، كقوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (3) والضمائر الموصولة "الذي، التي وفروعها، من، ما وأي الموصولية"

وحين يعود الضمير يكون عوده على مذكور لفظا ورتبة، أو لفظا دون رتبة (4)، ويعود بعض الضمائر على متأخر لفظا ورتبة كضمير الشأن، وقد يعود على مفهوم، فإذا عاد على مذكور، طابقه من حيث الشخص والعدد والنوع، ومن هنا كان الضمير في قوله تعالى: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (5)

عائدا على الكافرين لا على الأبواب، ولو أعاده على الأبواب لقال "منها" (6)

و- التضام: إن متكلم اللغة، إنما يضع كلامه وفق مبادئ وقواعد، ليحقق بذلك الفائدة بين ما يحكم مفردات التركيب من سبك وترا ص وتضامها فيما بينها، يقول تمام حسان موضحا ومبينا معنى التضام: « أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عن صرا

(1) ينظرتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها.ص 213.

(2) الإسراء/الآية 23.

(3) الأعراف/ الآية 26.

(4) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 215.

(5) الحجر/الآية 44.

(6) ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 215.

آخر فيسمى التضام "التلازم" أو يتنافى معه فلا يتلاقى به ويسمى "التنافي" ⁽¹⁾، وبهذا، فإن تعريف تمام حسان يشمل جهتي التضام "جهة التضام وجهة سلب التضام"

كما يوجد التضام بمعنى التقاريد المعجمي، الذي استدركه تمام على جزأين سابقين "التلازم والتنافي" ، وهذا بعد أن تجاهله في مواضع سابقة. ⁽²⁾

ي- الأداة: وهي الكلمة التي تستعمل للربط بين الكلام أو للدلالة على معنى في غيرها ، وهي أعم وأوسع مدى من الحروف، إذ كل حرف أداة ، وليست كل أداة حرف، فالأدوات النحوية ليس لها معنى في نفسها، فهي كلمات فارغة من مضمونها المعجمي، ولا يظهر معناها إلا حين توصلت بغيرها، لذا كان التعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية، و الأداة قرينة لفظية تنقسم إلى قسمين ⁽³⁾:

-الأداة الأصلية: وهي حروف المعاني كحروف الجر والنسخ والعطف.

-الأداة المحولة: وهي المنقولة عن الظرفية " كاستعمال الظروف في تعليق جمل الاستفهام"، أو إسمية كالأسماء المبهمة مثل: كيف ، كم أو فعلية "كان وأخواتها و كاد وأخواتها"، أو ضميرية كنقل "مَنْ" و"ما" و"أي" إلى معاني الشرط والاستفهام والمصدرية والظرفية والتعجب.

ن- النغمة: وهو الإطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق ⁽⁴⁾، وعرفه تمام حسان بوصفه « ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام ، وله وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام» ⁽⁵⁾، وبهذا فإنه يستحيل تعبير عن مشاعر الفرد المختلفة من فيع وغضب ونفي وإثبات وتهكم وسخرية...

⁽¹⁾ تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها.ص 217 .

⁽²⁾ المرجع نفسه. ص 217 .

⁽³⁾ المرجع نفسه. ص 125 .

⁽⁴⁾ المرجع نفسه. ص 226 .

⁽⁵⁾ مناهج البحث في اللغة . 164 .

فهذه القرينة تعين على معرفة ما إذا كانت هذه الجملة مثلا: " ما هذا ؟ " استفهاما حقيقيا أو أنه خرج عن مقتضاه إلى أغرض أخرى ، وبهذا فالقرينة هذه تعين على معرفة أسلوب معين بذاته .

3 - فكرة تضافر القرائن عند تمام حسان:

يعد التضافر أساسا تقوم عليه القرائن في توضيح عملية التعليق وتحديد المعنى الوظيفي للتركيب، فالقرينة لوحدها عاجزة على ذلك التحديد، وإنما مجموعة من القرائن هي التي تتضافر بحسب طبيعة كل تركيب وتكوينه في أداء هذه الوظيفة ، ومن الممكن سقوط القرينة عند اغناء غيرها عنها، وإذا أدركنا ذلك أمكننا تفسير كثير مما اعتبره النحاة شاذًا أو قليلا أو نادرا أو خطأ، وإنّ تضافر القرائن وإغناء بعضها عن بعض يمكننا من إدراك أنّ المناسبة الموسيقية الصوتية دعت إلى إهمال العلامة الإعرابية في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾⁽¹⁾، فقرينة الرتبة، واقتران الخبر باللام، أوضحا أنّ لفظ "هذان" لا يمكن أن يكون اسم "إنّ" ، ومن ثم أهملت العلامة الإعرابية، ولم يعد لها أهمية.⁽²⁾

وبهذا، فإنّ فكرة تضافر القرائن عدت أفضل طريقة للقضاء على مشكلة العوامل في النحو العربي، وهي القضية التي شغلت المهتمين بالنحو، وقد وضح تمام حسان كيفية التوصل إلى المعنى اعتمادا على تضافر القرائن.

حاول تمام حسان أن يعاود صياغة النظام النحوي كلّ وفق فكرة تضافر القرائن اللغوية في تحديد المعنى، وعدم انفراد العلامة الإعرابية به، حيث اعتبره مجرد قرينة واحدة لا نستطيع تحديد المعنى من خلالها⁽³⁾ لأنها يمكن أن تختفي في بعض الأحوال،

(1) طه / الآية 63 .

(2) ينظر تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها . ص 234 .

(3) المرجع نفسه. ص 192 .

كما أنّ « الإدراك الإنساني لا تسعفه القرينة الواحدة، لأنّ من طبيعة القرينة أن تدخل في تحالف مع عدد من القرائن الأخرى»⁽¹⁾

وهذا ما صرّح عليه تمام حسان هذه النظرية التي يراها كقيلة بإيضاح المعنى وتبيينه ومعنى هذا ، أن المعاني النحوية لا يمكن الوصول إليها إلا ب تضافر مجموعة من القرائن ، فالفاعل يكون فاعلا لأنه:⁽²⁾

- 1 -اسم (قرينة البنية)
- 2 -مرفوع (قرينة العلامة العربية)
- 3 -تقدمة فعل (قرينة الرتبة)
- 4 -الفعل مبني للمعلوم (قرينة البنية) في الفعل
- 5 -أسند إليه القيام بالفعل أو الإتصاف به (قرينة الإسناد)

والقرائن المتقدمة قرائن لفظية، عدا القرينة الأخيرة فهي قرينة معنوية (ذهنية)

كما نستطيع بفضل تضافر مجموعة أخرى من القرائن أن نتوصل إلى أنّ "زيد" في جملة "ضرب زيدٌ عمراً" فاعل، وذلك لأنه⁽³⁾:

- 1 -ينتمي إلى مبني الإسم (قرينة الصيغة)
- 2-مرفوع (قرينة العلامة الإعرابية)
- 3-العلاقة بينه وبني الفعل الماضي هي علاقة الإسناد (قرينة التعليق)
- 4-أنه ينتمي إلى رتبة التأخر (قرينة الرتبة)
- 5-أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرتبة)

⁽¹⁾ تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب. ط : 1. القاهرة : عالم الكتب، 2006 ، ج 2 ، ص 205 .

⁽²⁾ ينظر أحمد خضير عباس علي، "أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير بحر المحيط". (رسالة دكتوراه). قسم

الأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة الكوفة، 2010. ص17.

⁽³⁾ ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص 181.

- 6- أن الفعل معه مبني للمعلوم (قرينة الصيغة)
- 7- أن الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب (وهذا إسناده مع الاسم الظاهر دائماً) (قرينة المطابقة)، وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن "زيد" هو الفاعل، ثم ننظر بعد ذلك في "عمرًا" ونلاحظ أنه :

- 1 ينتمي إلى مبنى الإسم (قرينة الصيغة)
- 2 منصوب (قرينة العلامة الإعرابية)
- 3 العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة الإسناد (قرينة التعليق)
- 4 رتبته من كل الفعل والفاعل هي رتبة التأخر (قرينة الرتبة)
- 5- هذه الرتبة غير محفوظة (قرينة الرتبة)

خلاصة الفصل

في نهاية هذا الفصل نخلص إلى النتائج التالية

تجلت الوصفية في بحوث تمام حسان في كيفية تناوله لغة ، والتي قامت على نظرة تختلف على نظرة ا لنحاة القدامى ، الذين لم يولوا للمعنى أية أهمية، بل كانت دراساتهم كلها مقامة على اعتبار المبنى فقط، وجاءت دراساتهم للمعنى تبعا لدراسة المبنى فقط.

كما اعتبر تمام حسان أن اللغة نظام يحوي أنظمة فرعية هي النظام ال صوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، ويتفاعل هذه الأنظمة فيما بينها يتشكل المعنى، وقد تطرق بالدراسة لكل نظام على حدة، وتحدث عن النظام ال صرفي وقضية إعادة تقسيم الكلم ، والتي وصل بها على سبعة أنواع باعتبار المبنى والمعنى، بعد أن كان التقسيم ثلاثيا باعتبار واحد هو المبنى .

وقام تمام حسان أيضا بتقد يي البديل عن نظرية العامل التي كثر الجدل حولها ، وهي نظرية "تضافر القرائن والتعليق" والتي قال بأن هذه الدراسة لم يسبقه أحد إليها، وقدم تحليلا وفيما يجعل من هذه الدراسة ذات أهمية في الدراسات اللسانية الحديثة.

الخلاصة

نخلص من خلال ما تم عرضه في فصول هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

طبع المنهج الوصفي دراسات اللغة في القرن العشرين ، وأصبح أساسا لأي دراسة علمية، وقد أكد دي سوسير أنّ الدراسة العلمية للغة تركز أساسا على الوصف ، الذي يعد من أهم السمات التي تميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة، حيث يعتمد المنهج الوصفي على اللغات المنطوقة واللهجات، ويعتبرها الواقع الذي يبحث فيه اللغوي ويصف ويضع ملاحظاته كما تجلت وبدت في واقعها.

لقد تأثر عدد من الدارسين العرب بالمنهج الوصفي الذي ظهر في الغرب، وذلك لأنه يتخذ اللغة موضوعا للوصف، فحاولوا نقل الأفكار الغربية إلى اللغة العربية عن طريق تأليف كتب في هذا الاتجاه، فظهرت بعض المحاولات تدعو إلى التجديد في منهج النحو، وعلى الرغم من الخلط الذي صاحب ظهور هذا المنهج في الدراسات العربية، إلا أن أكثر المشتغلين في هذا المجال نجحوا في تبني الأنموذج الوصفي، واستطاعوا رسم صور واضحة المعالم لمسارات اللسانيات العربية الحديثة .

تبين لنا، أنّ الاتجاه الذي ساد في الدراسات اللغوية في تاريخ العربية هو اتجاه معياري بعد أن كان وصفيا، إذ إن العناية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ ، فرضت على هذا النحو أن يكون في جملته نحوا تعليميا لا نحو علميا.

بعد دراسة لعلم من أعلام اللسانيات العربية وهو "تمام حسان" الذي يعد شيخ اللغويين العرب، واستعراض آثار المنهج الوصفي في بحوثه ، تبين لنا أن الباحث حاول ابتكار منهج جديد لدراسة اللغة العربية يربط بين التراث النحوي والبلاغي بالاتجاهات اللسانية المعاصرة وعلى رأسها الاتجاه البنيوي، و ما تفرع عنه مدارس، وفي مقدمتها المدرسة السياقية.

وكان تمام حسان يصف النظام اللغوي العربي بداية من الصوت، ويقتفي آثار الوظيفة في كل عنصر من عناصر النظام، محاولاً أن يقيم وزناً كبيراً للمعنى، ذلك أنّ المعنى في رأيه أهمل من قبل اللغويين القدامى، حيث قدّموا المبنى على حسابه وهو ما ذهب إليه أصحاب المدرسة اللغوية التي لا ترى الدلالة مكتملة إلا بالسياق الاجتماعي، وهو ما يسميه تمام حسان المقام ويقابله المقال الذي هو السياق اللغوي، متأثراً في ذلك بمالينوفسكي الذي يمليه سياق الحال، ولكي يتم إجلاء المعاني الوظيفية لا بد من الاعتماد على تضافر جملة من القرائن اللفظية والمعنوية، إذ هي الأساس في إظهار كل علاقة وظيفية قائمة بين كلمن المبنى والمعنى.

المصادر والمراجع

_القرآن الكريم (برواية ورش)

1 الكتب العربية :

1 إبراهيم أنيس :

- الأصوات اللغوية .ط:بلا. مصر: مطبعة نهضة، ت: بلا.

- في اللهجات العربية .ط:3. القاهرة : مكتبة الأنجلومصرية،1965.

3 إبراهيم مصطفى، أحياء النحو. ط: بلا. القاهرة :دار الأفاق،2003.

4 أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات. ط:3. دمشق: دار الفكر، 2008.

5 أحمد مختار عمر:

- البحث اللغوي عند العرب. ط:6. القاهرة : عالم الكتب، 1988 .

- علم الدلالة. ط5. القاهرة: عالم الكتب، 1988 .

7 أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور. ط:بلا. الجزائر: ديوان المطبوعات

الجامعية، 2002.

8 إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية. ط: 3. عمان: دار وائل

للطباعة والنشر، 2002.

9 ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة. تحقيق: سعيد الأفعاني.

ط:بلا. سورية: مطبعة الجامعة السورية، 1958.

10 تمام حسان :

- الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. القاهرة: عالم

الكتب، 2006.

- البيان في روائع القرآن. ط:1. القاهرة: عالم الكتب، 1993.
- اللغة بين المعيارية والوصفية. ط:4. القاهرة: عالم الكتب، 2000.
- اللغة العربية معناها ومبناها. ط:4. القاهرة: عالم الكتب، 2004.
- مناهج البحث في اللغة. ط:بلا. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية
1995،
- مقالات في اللغة والأدب. ط:1. القاهرة: عالم الكتب، 2004. ج:2.
- 16- الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية. ط:2، بيروت: المكتبة العصرية، 2000.
- 17- ابن جني، الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط: بلا. مصر: دار الكتب
المصرية. ت: بلا. ج:1.
- 18- جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين. ترجمة: نجيب عزوي. ط: بلا.
دمشق: مطبعة الوحدة. ت: بلا.
- 19- جون بيرو، اللسانيات. ترجمة: الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس. ط:
بلا. البلد: بلا، دار الآفاق. 2001.
- 20- حاتم الصالح الضامن، علم اللغة. ط: بلا. جامعة بغداد: بيت الحكمة. ت: بلا.
- 21- حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ط: 1. بيروت:
دار الكتاب الجديد، 2009.
- 22- حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي. ط: 1. عمان: دار الشروق
للنشر والتوزيع، 2002.
- 23- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي. ط: بلا. الإسكندرية: دار المعرفة
الجامعية، 1988.

- 24- حليمة أحمد عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة. ط: بلا . عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2005.
- 25- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية . ط: 1. الجزائر: بيت الحكمة. 2009.
- 26- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط: 3. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1997.
- 27- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة-دراسات ومناقشات-. ط: 1. القاهرة: عالم الكتب، 2004.
- 28- سيوبه ، الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: 3. القاهرة: مكتبة الخانجي للنشر. 1988. ج 1.
- 29- شوقي ضيف، المدارس النحوية. ط: 7. القاهرة: دار المعارف. ت: بلا.
- 30- صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن. ط: 1. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1989.
- 31- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية. ط: 1. عمان: دار حامد للنشر والتوزيع، 2003.
- 32- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي. ط: بلا. الكويت: مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، 1957.
- 33- عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. ط: بلا. الجزائر: موفم للنشر، 2007، ج 1.

- 34- عبد الغفار حامد محمد هلال، علم اللغة في الدراسات العربية والغربية قديما وحديثا. ط: 1. القاهرة: دار الفكر العربي، 2013.
- 35- عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية. ط: 1. بيروت: الدار العربية للموسوعات ، 2006.
- 36- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1979.
- 37- عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين. ط: 1. عمان: دار الإسراء للنشر والتوزيع، 2002.
- 38- ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق: مصطفى الشويحي. ط: بلا. بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963.
- 39- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ط: 1. مصر: ايتراك للنشر والتوزيع، 2004.
- 40- كمال بشر، دراسات في علم اللغة . ط: 9. القاهرة: دار المعارف، 1986.
- 41- كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية. ط: بلا . عمان: عالم الثقافة للنشر والتوزيع، 2008.
- 42- مازن المبارك، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه. ط: بلا . دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ت: بلا.
- 43- محمد سالم الصالح، أصول النحو دراسة في فكر الأنباري. ط: 1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، 2006.

- 44- محمد سمير نجيب البلدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية. ط: 1. بيروت، عمان: مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، 1985 .
- 45- محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي. ط: 1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
- 46- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. ط: بلا. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001 .
- 47- محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ط: بلا. القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، 2004، ج1.
- 48- محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية. ط: بلا. بيروت : دار النهضة العربية، 1988 .
- 49- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ط: بلا. بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر، ت: بلا.
- 50- محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية. ط: بلا. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 2003.
- 51- مهدي مخزومي:
- في النحو العربي نقد وتوجيه. ط: 2. بيروت: دار الرائد العربي
- 1986، مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو . ط: 2. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، 1958 .

53- ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني.ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد. ط:2. بلد: بلا .المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

2 - الرسائل الجامعية :

- 54-أحمد خضير عباس علي، "أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير بحر المحيط". رسالة دكتوراه، قسم الأدب العربي: كلية الآداب واللغات جامعة الكوفة، 2010 .
- 55-محمد الأمين هراكي، الدرس اللساني وخصائصه عند عبد الرحمن حاج صالح". رسالة ماستر. قسم الأدب العربي: كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013.

3-المجلات و الدوريات :

- 56- حيدر سعيد، "اللغة العربية وللسانيات الحديثة". بغداد: مجلة الأديب المعاصر.
- 57- خالد بن عبد الكريم بسندي، "نظرية القرائن في التحليل اللغوي". مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد4، العدد 2 . 2007.
- 58- خان محمد، "الأستاذ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي". مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة محمد خيضر بسكرة. العدد 5، جوان 2009.
- 59-الشريف بوشحدان، "الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية". مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية : جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 7، جوان 2010.

- 60- عبد الرحمن حاج صالح، "تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي".
الجزائر: المجمع اللغوي للغة العربية، العدد 4. ديسمبر 2006.
- 61- محمد صلاح الدين الشريف، "النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب
تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها". حوليات الجامعة التونسية، العدد 17. 1979.
- 62- منصور ميلود، "الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن حاج صالح من خلال
مجلة اللسانيات". مجلة العلوم الإنسانية : جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 7. جانفي
2005.

الفهرس

الفهرس التحليلي

ص	العنوان
أ	- مقدمة
2	- مدخل
13	- البحث اللساني عند العرب وأثر اللسانيات الغربية في الدراسات العربية
22	- أعلام اللسانيات العربية
22	- إبراهيم انيس
24	- عبد الرحمان أيوب
27	- محمود السعران
29	- عبد الرحمان الحاج صالح
32	- الوصفية في البحوث اللسانية العربية
40	- المعيارية في البحوث اللسانية العربية
51	- المعنى والشكل
56	- النظام الصرفي وتقسيم الكلام
57	- أقسام الكلام ومبدأ الوصفية عند تمام حسن
63	- تضافر القرائن والتعليق
66	- القرائن المعنوية
68	- القرائن اللفظية
72	- تضافر القرائن
77	- الخاتمة

تأثر اللغويون العرب بالمنهج الوصفي الذي طبع الدراسات اللغوية في القرن العشرين، وحاولوا إعادة وصف اللغة العربية وفق هذا المنهج، حيث سئم النحاة المحدثون من النزعة المعيارية التي قام عليها النحو العربي بعدما كان وصفا في القرون الأولى للهجرة؛ إذ استطاع علماء العربية المحدثون و على رأسهم "تمام حسان" التوصل إلى نتائج باهرة ساهمت في إثراء اللغة العربية، كما وقفوا كذلك على أوليات الطريقة الوصفية في أعمال قدامى اللغويين العرب، محاولين في الوقت نفسه إعادة هيكلة نظام اللغة العربية وفق ما يقتضيه علم اللغة الحديث.

The Arabic linguists were influenced by the descriptive language methodology which characterized the language studies in the 20st century, They tried to redexribe the arabic language according to this method, which is used now by the resent arabic grammar linguists among them « Tamam hassen » however the D.L.M was used at the begining of the 1st hegira century , they were able at that time to get better results and develop the arabic language. They could bet the priorities of the D.L.M in old linguists works trying to rebuild the language system study according to the new language sciene.